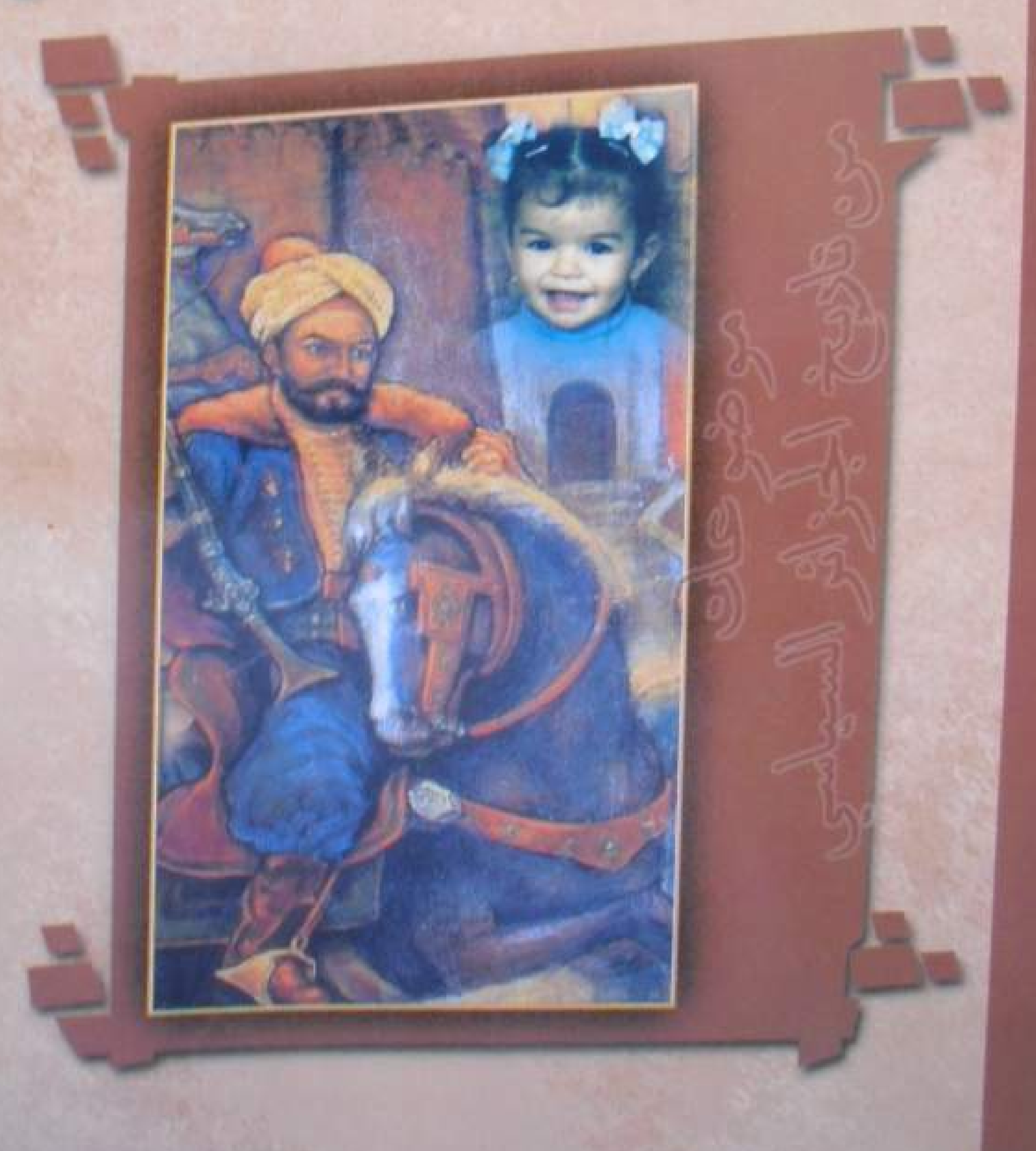
الدكتور عميراوي احميده

أستاذ محاضر ونائب رئيس

جامعة الأمير عبد القادر

قسنطينة

موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي



الدكتور عميراوي احميده
استاذ محاضر ونائب رئيس
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة

موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي

رقم الإيداع القانوني 2594 - 2003 المكتبة الوطنية
ردمك: 9 - 0296 - 0 - 9947

تم الطبع بشركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع - عين مليلة
www.elhouda.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـداء

إلى كل رافض للظلم من أبناء الجزائر

إلى كل مثابر..

إلى راشة ملاك

مع التمنيات..

الدكتور عميراوي احميده

الخميس 15 ذو القعدة 1424
الموافق 2004/01/8

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

البحث في تاريخ الجزائر مسؤولية كبيرة، وعرض نتائج البحث فيه واجب وطني. وانطلاقا من هذه القناعة نقدم هذه المجموعة من الموضوعات المتعلقة بتاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، لتساهم في إثراء عملية الغربلة لتاريخنا. وهي موضوعات شاركنا بأغلبها في ملتقيات فكرية.

وقبل تقديم هذه الموضوعات لنا كلمة نقولها، وهي؛ إن الجهاد والنضال يكون من مواقع كثيرة، وبوسائل متعددة. فالباحث عندما يضحي بكل ما عنده ويكتب كلمة صادقة، فهذا لا يخرج على إطار الجهاد والنضال من أجل بلده. بل إن الباحث، عندما ينتقل من ولاية إلى ولاية أخرى، أو من الجزائر إلى بلد آخر، ليقدم بحثا علميا عن بلده يكون قد ضحى بكل ما عنده، بل يكون قد جازف بحياته أمام خطر ما قد يرصده في الطريق، خاصة طيلة هذه السنوات الماضية، وهو الأمر الذي حدث لكثير من المثقفين حين قتلوا، وحين سلبوا، وهم يؤدون واجبهم المهني والعلمي. فهذه المشاركة في الملتقيات ومن دون مقابل مالي لا تقل على أن تكون جهادا ونضالا.

وقد فضلنا أن يكون عنوان هذا الكتاب: "**موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي**" يتضمن قضايا مرتبة على هذا الشكل:

1- مبايعة الأمير عبد القادر والواقع السياسي في العالم العربي-الإسلامي

هدفنا من تناول هذا الموضوع هو عقد مقارنة بين انطلاقة النظام السياسي في الجزائر عهد الأمير عبد القادر وبين الأنظمة السائدة في البلاد العربية-الإسلامية، حيث تبين لنا (مثلما سنرى في حينه) أن الأمر مختلف بين النظام الجزائري الفتي الذي قام على مرجعية إسلامية سلفية؛ إقتداء بكتاب الله عز وجل وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وباجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم. وبين الأنظمة التاريخية التي وجدت في تلك البلاد، والتي كانت أسرية، أو وراثية، أو ملكية، أو سلطانية.

2- خطاب السلطة في مبايعة الأمير عبد القادر

خصصنا هذا الموضوع للحديث عن مصدر السلطة في مبايعة الأمير. وعما إذا كانت سلطة تقليدية أو كاريزمية، أو عقلانية. وقد تتبين أمور كثيرة من هذا الموضوع؛ كأن تكون هذه السلطة متفردة في خطاب السلطات السائدة في البلاد الإسلامية.

3- الريف والمدينة في استراتيجية الأمير عبد القادر

الحديث في هذا الموضوع هام لمعرفة استراتيجية الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية، حيث ستتضح لنا أمور منها أن الأمير عبد القادر

انطلق من الريف إلى المدينة، إلى أن انتهى به الأمر إلى الريف، حيث أسس عاصمة متنقلة أسماها الزمالة. وبها كسب قوة واجه بها جيش الاستيطان الأوروبي، الذي شهد به جنرالات فرنسا حين قال أحدهم إن قوة الأمير تكمن في عدم العثور عليه.

4 - من السياسة الفرنسية في الجزائر (المعاهدات)

مارست السلطة الفرنسية ألوانا سياسية كثيرة منها عقد المعاهدات والاتفاقات مع كثير من الصفوف الجزائرية، من عام 1830 مع الداي حسين في الشمال إلى عام 1962 مع التوارق الجنوب. وهو ما سيتبين في حينه.

5- السجون الفرنسية في الجزائر جريمة ضد الإنسانية

نوعت السلطة الاستيطانية الأوروبية وسائل احتلالها، وكان منها إقامة السجون وما شابهها، الأمر الذي يتبين من خلال عرض هذا الموضوع أن صفة الإجرام في حق الجزائري تنطبق عليها تماما.

6 - فاتح الثورة الجزائرية مقارنة بالثورات العالمية

القصد من معالجة هذا الموضوع هو عقد مقارنة بين انطلاقة ومرجعية وأهداف ثورة أول نوفمبر في الجزائر بما يماثل في بقية الثورات العالمية. حيث سيتبين أن تلك الثورات قامت على تصدير مبادئها

ومصادر مبادئ الشعوب الأخرى، على خلاف الثورة التحريرية الجزائرية.

7 - هجمات أوت 1955 عبر أنحاء الجزائر

الفكرة الرئيسة في هذا الموضوع هي أن هجمات جيش الثورة التحريرية لم تكن في شمال قسنطينة فقط، مثلما تذكره كثير من مراجع الثورة، بل كانت في الجنوب الجزائري أيضا وفي وادي سوف، حيث جرت معارك دامية هناك في غوط شيكة.

8 - من مصابيح الثورة التحريرية في الصحراء الجزائرية (التاريخ المخفي)

مثلما هو متعارف عليه في بعض المراجع أن مشاركة الجنوب الجزائري في الثورة محدودة، لكنه من خلال ما كتبنا، ومن خلال ما سنعرض من وثيقة نادرة في هذا الموضوع سيتبين أن رجالا لهم تاريخ مشرف، إذ بفضلهم اتسعت الثورة في جميع أنحاء الصحراء. ومن هؤلاء الرجال كان المجاهد **حساني محمد بن إبراهيم الشريف** شيخ الطريقة القادرية في الجزائر وعموم إفريقيا.

9 - مواجهة الثورة التحريرية لنتائج المشاريع الأوروبية

من المؤكد أن للاستيطان الأوروبي أكثر من مشروع، وضعه الليبراليون والكاثوليكيون، غيرهم أصحاب التيارات الفكرية العلمانية،

الأمر الذي ولد نتائج خطيرة على المجتمع الجزائري فجاءت الثورة التحريرية لتنقذه من نتائج هذه المشاريع.

10 - واقع البحث العلمي في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأساس في هذا الموضوع هو تبيان أمر يعود إلى أن الاهتمام الرسمي بالبحث العلمي في العلوم الإسلامية لم يكن منذ الوجود العثماني في الجزائر سنة 1516 إلى غاية عام 1984 حين تأسست جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. وهي تقوم الآن بدور رائد ومتفرد في مجال البحث العلمي، برغم ما تعيشه من مفارقة بين ما تستمده من المدّ العربي-الإسلامي، ومن المرجعية الثقافة الجزائرية، وبين قوى جذب حزبية تحاول جعلها مركز قوة لخدمة النظرة الضيقة.

11-موقف جان بول سارتر عام 1956 من الاستعمار الاستيطاني في الجزائر

سنبين في هذا الموضوع قوة الثورة التحريرية وعدالتها التي كسبت إنصافا من أبناء أعدائها الملتزمين، ومنهم جان بول سارتر الذي انتقد بقوة سياسة الاستيطان الأوروبي في الجزائر.

والله الموفق

الدكتور عميراوي احميده

قسنطينة في 2004/1/8

مبايعة الأمير عبد القادر
والواقع السياسي في العالم العربي-الإسلامي

مبايعة الأمير عبد القادر
والواقع السياسي في العالم العربي-الإسلامي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحضور الكريم السلام عليكم ...شاكرا لكم حسن الاستقبال.

إنه لشرف لي أن أكون حاضرا بينكم، مستفيدا أكثر من أن أكون محاضرا مفيدا.. لأنني لا أدعي أن ما أقدمه يعد محاضرة أكاديمية تناسب هذا المقام الطيب؛ أمام باحثين أكفاء، ولكن ما أقدمه على مسامعكم ليس أكثر من ورقة معلومات نقدمها في النقاط الآتية:

1- الهدف من تقديم هذه الورقة

2- الفكرة الرئيسة

3- تساؤلات

4- العرض

5- من نص البيعة

6- استنتاجات

---

1 - ألقيت هذه الورقة بمدينة أم البواقي في الملتقى الوطني حول الأمير عبد القادر يومي 14-15 أكتوبر 2003

1- الهدف: إن الهدف من تقديم هذه الورقة هو محاولة التعرف على مستوى الفكر السياسي الجزائري، (أي، صورة الدولة ونظام الحكم) من خلال مواقف الأمير عبد القادر، مقارنة بوضع العالم العربي الإسلامي آنذاك.

2- الفكرة الرئيسة: أساس نظام الحكم في مخيال كل من الأمير عبد القادر، والنخبة العالمة الجزائرية إسلامي نصي ومتميز عن بقية الأنظمة السياسية العربية الإسلامية.

3- تساؤلات: كيف كانت النظم السياسية في العالم؟ لماذا المبايعة للأمير عبد القادر بالذات؟كيف تمت هذه المبايعة؟ ما هو محتوى هذه المبايعة؟ كيف تقبل الجزائريون بيعة الأمير عبد القادر الأولى والثانية؟ كيف تعامل الأمير عبد القادر مع هذه المبايعة؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى فشل هذه المبايعة سياسيا؟

4- العرض: يمكن حصر الخطاب الفكري الذي ساد في العالم عهد الأمير عبد القادر في مستويين:

* المستوى الأول: عقلاني وكان يتواجد في العالم الغربي. وكانت تتحكم فيه أهم التيارات الفكرية وهي الليبرالية والسان سيمونية والماسونية والكاثوليكية والنزعة الأنسانوية (Humanisme). ونتج عن تفاعل هذه

التيارات ظهور أنظمة سياسية عقلانية وضعية (دستور مدني). وتم تصديرها إلى خارج حدود بلادها.

* المستوى الثاني غيبي سكوني، وكان ينتشر في آسيا (ديانات طبيعية غير سماوية مثل البوذية والتاوية **Tao**)[1] والمشرق والمغرب، وكانت تتحكم فيه المذهبية الدينية، والطرقية الصوفية والسلطانية العثمانية والأسرية الوراثية. ونتج عنها غلق باب الاجتهاد على حساب التجديد الفكري، فساد خطاب الاجترار والتغني بلغة المناقب على حساب الإبداع. وبرغم ظهور حركات إصلاحية اجتماعية لكنها لم تتمكن من تأسيس نهضة على اعتبار "إن الإصلاح الديني يقوم بمهمة تصفية الماضي وتجديد التراث القديم ولكنه لا يضع أسس نهضة فكرية شاملة"[2]. بينما النهضة العلمية توقظ وتؤسس. ومن ثم وقع العالم العربي الإسلامي في مصادرة غربية.

1 - التاوية تعني النهج والكل. وهي مذهب إنساني عالمي يقوم على أن الموضوع كائن في الذات. لمزيد من المعلومات يراجع: آلبان. ج. ويدجري، التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشيوس إلى توينبي، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972، ص-ص. 6-32

2 - حنفي بن عيسى، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار التنوير للطباعة، ط. 1، بيروت 1981، ص-ص. 102-103.

▲ وكان نظام الحكم قائما في كل من:

* آسيا على وجاهة السلطان (الخليفة-إسطانبول) أو القيصر (الروسيا) أو الشاه (فارس) أو الشيخ الطرقي[1].

* دول الخليج والشام على الشيخية القبلية وعلى السلطنة العثمانية.

* ففي السعودية مثلا انتهى الصراع بين الوهابيين والمصريين (1812-1830) بظهور نظام أسري تمثل في أسرة آل سعود المتصارعة ضد أسرة آل الرشيد على سدة الحكم[2].

1 - انتشرت طرق صوفية كثيرة في الهند وباكستان والأفغان، أفضت إلى تشكيل طرق صوفية كان من أهمها الطريقة البابية وهي طريقة إسلامية شهيرة ظهرت في بلاد العجم سميت هكذا نسبة إلى الباب المفضي إلى الباطن، أي إلى معرفة الحقيقة الإلهية. انطلقت من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا مدينة العلم وعلي بابها". وقد شهرها محمد علي الشيرازي المولود عام 1821.

2 - لمزيد من المعلومات يراجع: لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، ج. 2، المطبعة السلفية-ومكتبتها، القاهرة، 1343هجرية، ص-ص. 102-103

* مصر على سلطة أسرية (محمد علي)
* ليبيا على ولاء أسري (قرامنلية).
* تونس على سلطة أسرية (الحسينية).
* المغرب على ولاء ملكي وراثي (الأسرة السعدية والعلوية).
* بينما نظام الحكم في الجزائر كان متميزا، فمن خلال الدراسة للحياة الاجتماعية السياسية والإدارية يتبين أن أكثر من سلطة كانت سائدة في الجزائر، الأمر الذي يسمح لنا باستنتاج أمر هو عدم وجود سلطة واحدة موحدة قوية ذات النفوذ الشامل لكل أطراف الجزائر خلال بداية عهد الأمير عبد القادر. مثلما يسمح بالقول إن نظام الحكم في الجزائر كان يتميز بشكلين:

الأول يمكن وصفه بدولة محدودة السلطة كانت في المدن (دولة المدينة)، برئاسة الداي والباي.

الثاني يتمثل في وجود سلطة نافذة من دون دولة. وهذا الشكل كان محسوسا في الريف، وكان يديره الشيوخ العلماء. وشيوخ الطرق الصوفية وشيوخ القبائل.

ومن هذا الوضع المتميز يمكن الوصول إلى نتيجة هامة، وملخصها: إن السلطة بالريف في الغرب الجزائري عهد الأمير عبد القادر انطلقت من داخل الأسرة أو العشيرة إلى سلطة الإمارة، ومنها إلى سلطة الدولة.

خلاف سلطة المدينة التي كانت تنطلق من الوصاية "التركية" العثمانية الأجنبية.

وعلى هذا الأساس يمكن حصر الفواعل المسيرة لنظام الحكم في الغرب الجزائري؛ وبالتالي في الولاء الشعبي الجزائري أواخر العهد العثماني الذي كان لأكثر من سلطة؛ كان أغلبه للسلطة العثمانية ولشيوخ القبائل وشيوخ الطرق الصوفية. وكان جزء منه لسلطان المغرب ولباي تونس[1].

إذن بمجيء الاحتلال الفرنسي عرف الغرب الجزائري مرحلة جديدة كان الفاعل فيها خمسة أطراف هي:

- النفوذ المغربي الذي آزرته قبائل وأسر جزائرية.
- النفوذ الفرنسي الذي حاول أن يفرض نفسه بالقوة.
- بقايا النفوذ العثماني المتمثل في قبائل الدوائر والزمالة[2].
- النفوذ التونسي الذي عقد معه السلطة الفرنسية معاهدة[3].

---

1 - لمزيد من المعلومات براجع كتابنا: من الملتقيات التاريخية الجزائرية، دار البعث قسنطينة 2001، ص-ص. 56-63.

2- لمزيد من التعرف على هاتين القبيلتين براجع ما كتبناه حول: "معاهدة الدوائر والزمالة، حوان 1835"، الثقافة، العدد 88، وزارة الثقافة، سبتمبر 1985. ص — ص. 123 — 136.

3- لمزيد من التفاصيل براجع: التميمي عبد الجليل، "مغامرة الحماية التونسية على وهران سنة 1831"، المجلة التاريخية المغربية، العدد5، تونس 1976، ص-ص. 5-19.

- نفوذ الأمير عبد القادر الذي بويع أميرا يوم 27 نوفمبر 1832

نستنتج من هذا الوضع السياسي أن نظام الحكم في الجزائر وفي البلاد العربية الإسلامية قبيل مبايعة الأمير عبد القادر لم يتأسس على الشورى أي على المبايعة.

5 – من نص المبايعة: قبل الحديث عن نص البيعة لنا أن نقول إن المبايعة كانت اقتداء بسنة رسول الله ﷺ أي تحت الشجرة وفقا لقوله تعالى: "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يدُ الله فوق أيْديهم فمن نكثَ فإنما ينكُثُ على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسَيُؤتيه أجرا عظيما"[1]. وكذلك "لقد رضي اللهُ عن المؤمنين إذْ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينةَ عليهم وأثابهم فتحا قريبا"[2].

ونستخرج مقاطع من نص البيعة الأولى كالآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد، الذي لا نبي بعده..إن "الله يحمي بالسلطان، مالا يحمي بالقرآن". هذا في الزمان الذي فاض فيه العدل. ونضب فيه الجهل. فما بالك بزماننا ... ولم يجد الناس... "للجهاد دليلا". فلجئوا إلى الله تعالى. وسألوه أن ييسر لهم من يقوم بأمر دينهم، فما وجدوا من تتفق عليه كلمة أهل

1- سورة الفتح آية 10 .

2- سورة الفتح آية 18

الحل والعقد، سوى السيد محي الدين بن مصطفى بن المختار... فطلبوا منه أن يبايعوه على السمع والطاعة، وأتاه بعض علماء غريس... اتفقوا على نصب ولدي عبد القادر لنصرة دين الله. (وهو) ... ذا حزم وعزم ... وعقل سليم وذات سليمة.. فاجتمع أهل الحل والعقد، وبايعوه من غير طلب منه للإمارة...

فحضر للبيعة: جميع أهل غريس... واتفق علماء الإقليم على بيعته وطاعته.. في الثالث من رجب الفرد، سنة 1248 هـ الموافق للسابع والعشرين من نوفمبر عام 1832.

ذكر البيعة الثانية العامة

ثم انعقد...(اجتماع) وجرى فيه عقد البيعة الثانية العامة بمحل العموم من قصر الإمارة... وأوجب عليهم نصب إمام عدل... هذا، ولما انقرضت الحكومة الجزائرية... فتفاوضوا في نصب إمام، يبايعونه على الكتاب والسنة... فبايعوه على كتاب الله الكريم... أقام الله به أمر هذه الدولة السنية، والإمامة البهية... وقعت هذه البيعة العامة في ثلاثة عشر رمضان 1248 هـ/ الرابع من فبراير عام 1833.

6 – استنتاجات:

من خلال هذه العبارات المقتطفة من نص البيعتين يتبين أن:

- نص البيعة ديني صرف مستمد من "الكتاب والسنة".
- كانت المبايعة بطلب من "أهل الحل والعقد".
- جاءت البيعة بعد أن "انقرضت الحكومة الجزائرية".
- كان إيمان علماء الجزائر الذين بايعوا الأمير كبيرا في أن "الله يحمي بالسلطان، مالا يحمي بالقرآن".
- إن الهدف من هذه المبايعة هو إقامة "الدولة السنية، والإمامة البهية".
- كان اختيار عبد القادر أميرا ليكون "إمام عدل" مبنيا على توفر شروط الإمامة فيه هي على المذهب السني "حزم وعزم ... وعقل سليم وذات سليمة".
- كانت مبايعة الأمير عبد القادر "من غير طلب منه للإمارة".

ولهذا تعد المبايعة نتاج فكر جزائري أصيل، على الرغم من عدم وجود جامعات علمية يتخرج منها علماء في السياسة الشرعية على غرار ما يشبه الأزهر والزيتونة، وعلى الرغم من تحول كثير من الزوايا من مركز جهادي وثقافي إلى مكان للانزواء، الأمر الذي أدى إلى ضحالة الإنتاج العلمي، والحد من الحرية العقلية، فعلى الرغم من ذلك فقد كان لشيوخ العلم دور في تشكيل نظام حكم حديث، برئاسة الأمير عبد

القادر الذي أسس نواة حكم لدولة فتية (أو دولنة **Etatisation**). وأحدث المناصب الأساسية لهذه الدولة، وأسند هذه المناصب إلى من كانت تلك المناصب تطلبهم، لا إلى من كان يطلبونها. وبذلك يكون هذا النظام الأميري ظاهرة نادرة في الفكر العربي الإسلامي، إذ لم يسبقه إليها أي نظام منذ عهد الخلفاء الراشدين؛ ولهذا لا نستغرب في ما شكله هذا النظام الشوري من خطر على الأنظمة الأسرية والملكية والسلطانية السائدة في البلاد العربية الإسلامية، وأكثر ما شكله من خطر كان على الأنظمة الأوروبية المدنية التي جاءت إلى الجزائر باسم الليبرالية والإنسانية. وعليه يسهل فهم طبيعة المواقف التي أيدت الأمير عبد القادر وخلفيات المواقف التي ناصبته العداء. مثلما يساعدنا هذا على فهم الأسباب التي أدت إلى سقوط هذه الدولة الأميرية الفتية لتلقيها ضربات جوارية أقوى من الضربات الفرنسية.

لأن الأمير عبد القادر صار حاكما مبايعا فالتزم حدود الشريعة الإسلامية. وأسس علاقات مع الجهات الأخرى انطلاقا من هذا الاعتبار؛ أي أنه حارب كل من خرج عن طاعة المبايعة، وبناء على هذا فإن ما وجد من اختلاف بينه وبين أطراف جزائرية فهو يتجاوز حدود الاعتبارات الشخصية، لأن الأمير كان على قناعة في أن نظام حكمه مستمد من شرعية إسلامية جاءت عن طريق الشورى أي: بالبيعة الخاصة والبيعة العامة. فمن الناحية الدينية لا يجوز له أن يتنازل لزعيم آخر لم

يبايعه المسلمون، لأنه في هذه الحالة هو مسؤول أمام الله وليس مسؤولا أمام الرعية. بل، وأن الأميرعبد القادر وهو الفقيه كان يعمل بمبدأ فقهي "وقاف الحدود" حدود الشرع، أي أنه كان ملزما بمحاربة كل من يخرج على رأي أهل الحل والعقد حتى ولو كان الحاج أحمد باي نفسه.

وكانت أهم المناصب التي أحدثها الأمير هي: الوزارة (الأولى)، كتابة الدولة، الحجابة، نظارة الخزينة، نظارة الأوقاف، نظارة الخارجية، مأمورية الأعشار والزكاة. بجانب مجلس الشورى المتكون من 11 عضوا عالما، برئاسة قاضي القضاة السيد أحمد بن الهاشمي المراحـــي، وكـــذلك الدواوين، والوظائف العسكرية كرئيس العسكر المحمدي، والســـياف، ومعلم الحرب. إذن فدولة الجزائر الأميرية الفتية، دولة إســـلامية، كـــان يديرها الشيوخ العلماء. دولة وطنية جزائرية ولعل هذا ما يفسر ســـرعة توحيد الصفوف بين القبائل المتناحرة، والتفافهـــا بـــالأمير وبأســـرته، ومواجهتها للكولونيالية الأوروبيـــة بأبعادهـــا المختلفـــة: الاجتماعيـــة والسياسية، الفكرية والعقائدية.

- وإننا نميل إلى رأي وهو قد تكون نية الشيوخ العلماء في المبايعة علـــى أساس أنه شيخ الطريقة، ومن ثم تكون نية المبايعة صوفية لشيخ الطريقة وهو محي الدين، لكن تزكية هذا الأخير لابنه صارت المبايعة شـــرعية دينية.

ومهما يكن من أمر فعبد القادر كان سلفيا عقليا، يعتمد الإرث والموروث الإسلاميين، ويأخذ بالأسباب الحضارية الأوروبية. لهذا كانت مواقفه إسلامية حضارية إنسانية. وبناء عليه فاختيار لقب الأمير إنما كان مشدودا إلى المرجعية التراثية الإسلامية، الذي لأن هذا اللقب ذو دلالـــة أقوى من السلطان أو الملك. وأيضا إن لقب الأمير كان يتوافق والمرحلة التاريخية التي كانت الجزائر تمر بها؛ وهي الجهاد. لأن الزعامة الشرعية في شخص ولي الأمر؛ خليفة كان أو أميرا واجبة، وكانت بدايتها حين وقع الاختلاف بين الأنصار والمهاجرين حول من يتولى الخلافة الإســـلامية، ولهذا كان الطرح بين الأنصار والمهاجرين "منا أمير ومنكم أمير". وانتهى الاختلاف بين الطرفين بتولي المهاجرين الخلافة بمبايعة أبي بكر الصـــديق خليفة وإعلانه للأنصار "نحن الأمراء وانتم الوزراء" (سقيفة بني ساعدة).

وكانت وظيفة الأمير في التاريخ الإسلامي محصورة أكثر في قيادة الجيش للجهاد، ومن ثم فهي تعني اصطلاحا قيادة الجـــيش في المعركـــة، وقيادته دائمة بدوام الحرب. وبعد موت أبي بكر تولى عمر بن الخطـــاب قيادة المسلمين فاستثقل عبـــارة "خليفـــة خليفـــة رســـول الله (ص)". واستحسن عبارة "أمير المؤمنين".

وكان هذا اللقب يعبر بالأساس عن قيادة الجيش. ولا نعتقد إننـــا على خطإ إن قلنا إن عبد القادر ومن معه من الشيوخ العلمـــاء كـــان قصدهم التزام هذا اللقب توافقا مع هذا المعنى، ولا يكون إلاّ بالبيعـــة لا

بالنص أو الوصية. وبالفعل كان ذلك للأمير عبد القادر وتحت الشجرة.

وبعد هذا كان للأمير المبايع كامل الصلاحيات والحرية المطلقة في بناء أجهزة الدولة، وانتقاء خيرة العناصر من الأمة وإسناد لها المناصب وفقا لمبدأ الرجل المناسب في المكان المناسب.

- ومن غير المستبعد أن يكون الجهاد وحده هو السبب الرئيس الذي دفع العلماء الجزائريين إلى مبايعة الأمير إنما كان لحبهم أيضا للجزائر رغبةً في تطويره بدءاً بتأسيس دولة جزائرية إسلامية قوية؛ لهذا كانت البيعة مقرونة أساسا بممارسة الجزأرة.

- يكون الأمير قد شكل نظام حكم إسلامي بواسطة الشورى، الذي يعني تشكيل نظام حكم جديد واجه به السلطانية العثمانية والشيخية المحلية والملكية المغربية والعقلانية الأوروبية. لهذا كانت الضربة القاضية التي أطاحت بدولته الجزائرية الفتية قد وجهت له داخليا وخارجيا.

-وبتكريس الأمير نظام الحكم الجديد يكون قد انتزع السلطة من رؤساء القبائل والأسر الأخرى وحصرها في يد رئيس الدولة الجديدة. وبهذا كان النظام الجديد تكريسا لسلطة تقليدية(Traditionnelle) مشدودة أساسا إلى قوة العرف آخذة شرعيتها من قدسية هذا العرف. وعلى رأي بيومي

أحمد يكون هذا الحاكم "الأمير" ذا قداسة في نظر المبايعين له، مثله مثل التقاليد التي كان هو نفسه محكوما لها وحاكما بها[1].

– واستطاع الأمير عبد القادر ومن معه من العلماء أن يضيفوا مفهوما جديدا حول ممارسة نظام الحكم الذي كرسوه و اختلفوا به عما هو سائد سواء أكان في المغرب الأقصى أم في تونس أم في البلاد العربية الإسلامية أم في ما جاءت به فرنسا.

– إن المميز في هذه البيعة أنها مطابقة للشريعة الإسلامية، التي لا تحدد مدة المبايعة. ولا تحدد صلاحية الأمير. وبالفعل لم تتحدد مبايعة الأمير طيلة مدة حكمه (1832–1847).

–لم يسبق أن تأسس نظام حكم في الجزائر بواسطة الشورى التي أساسها المبايعة إلاّ في عهد الأمير عبد القادر.



1- بيومي، أحمد، علم الاجتماع الديني، دار المعرفة الجامعية، (د. ط)، الإسكندرية 1996، ص. 382 .

خطاب السلطة

في مبايعة الأمير عبد القادر

خطاب السلطة في مبايعة الأمير عبد القادر[1]

مقدمة:

موضوع المبايعة مركزي في التاريخ الإسلامي. إذ من أجلها اختلف المسلمون، مما أدى هذا إلى كثرة الإفتاء وغلق باب الاجتهاد. وظلت المبايعة تُطلَبُ وتفتك، على خلاف ما حدث للأمير عبد القادر الذي بايعه العلماء مبايعة فقهية سنية، عملا بكتاب الله وسنة رسوله. حيث اعتمد على خيرة العلماء في تأسيس دولته، وسنحاول عرض الموضوع من خلال النقاط الآتية:

1. مفهوم المبايعة لغة
2. مفهوم المبايعة اصطلاحا
3. مفهوم المبايعة تاريخيا
4. مفهوم السلطة
5. وضع الغرب الجزائري
6. مبايعة الأمير عبد القادر
7. الاستنتاجات

1- مداخلة أعدت للندوة الخاصة بمبايعة الأمير عبد القادر في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة يوم 29 نوفمبر 2003

1- مفهوم المبايعة لغة

جاء في لسان العرب لابن منظور أن المبايعة هي صفة على إيجاد البيع وعلى المبايعة والطاعة، فيقال تبايعوا على الأمر، أي تعاهدوا. وجاء في قول نبينا الكريم: ألا تُبايِعونني على الإسلام؟ هو عبارة عن المعاقدة والمعاهدة، كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعتَه ودخيلةَ أمره[1]. إذن، فالمبايعة تعني العهد.

2 – مفهوم المبايعة اصطلاحا

هل البيعة في الأساس دينية أم غير ذلك؟

قد يحدث الخلط بين ما هو مدني سياسي. وما هو ديني إلهي. وما هو فقهي شرعي. فالأمر المدني السياسي هو ما تقوم به الجماعات أو الأفراد لإدارة نظام الحكم، ويبقى حكم هؤلاء مدنيا حتى ولو طبقت هذه الجماعات شريعة دينية، فيبقى خاليا من القداسة ، وقابلا للنقد والتعبير. ومن ثمة يكون هذا الحكم غير معصوم.

أما الديني الإلهي فهو ما يكسب الحاكمَ صفات دينية، بحيث لا يعمل بإرادته كفرد وإنما يعمل بأمر الله، فيصبح ذا قداسة، وليس على أي

---

1 – المجلد الثامن، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت 2002، ص-ص. 30-31

أحد أن يعارضه، أو يجادله؛ لأن ذلك يعني معارضة ومجادلة الله. لأن الحكم الديني معصوم.

أما الحكم الفقهي الشرعي فهو حكم الفقهاء، حكم الاجتهاد القائم على الإفتاء، وعلى سنن الشرفاء.

بناء على هذا إننا نميل إلى اعتبار البيعة إنما هي دينية في الأساس خلال عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، بحكم أن الرسول كان معصوما.وبوركت بقوله سبحانه تعالى:"إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يدُ الله فوق أيْديهم فمن نكثَ فإنما ينكُثُ على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيُؤتيه أجرا عظيما[1]".

بينما في عهد الأمير عبد القادر رحمه الله تعالى كان أساس البيعة شرعيا فقهيا، ومن ثم فهي تعد ضمن الإطار الشرعي الإسلامي. أما ما حدث من مباعة بين بيعة كل من الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من جهة، وبين بيعة الأمير عبد القادر فتعد بيعة سياسية أكثر مما هي شيء آخر. ولهذا فهي تدخل في إطار التاريخ الإسلامي بالأساس، لا ضمن الإطار الشرعي الإسلامي.

1- سورة الفتح آية 10.

3 – مفهوم المبايعة تاريخيا

مثلما ذكرنا فموضوع المبايعة مركزي في التاريخ الإسلامي، إذ كانت سببا في انشطار المسلمين إلى أكثر من صف، فبعد الفتنة الكبرى لم يتبايعوا على أمر واحد، فخضعت المبايعة إلى تجاذب الأطماع الشخصية، والمصالح الاستراتيجية، والتيارات السياسية، والفرق المذهبية. واختلف المسلمون سنة وشيعة وخوارج حول لمن تجوز المبايعة شرعا؟ ونتيجة لهذا المسار تشكل التاريخ الإسلامي، وتحدد مصير المسلمين، وانحصر في كثرة الحروب الطاحنة التي ورثت الحقد في الأجيال اللاحقة، وألهتهم عن مسايرة ركب التطور بالبناء والابتكارات الحضارية. فحدثت قطيعة واستمرت بين العلماء الفقهاء والحكام "السفهاء"[1]. وصار التاريخ الإسلامي في غالبه تاريخ الحكام وتاريخ السياسة؛ ولم يكن، إلاّ في قليله تاريخ الأمة وتاريخ العلوم والابتكارات، وتاريخ الفقه والتشريع والاقتصاد، لهذا كان خطاب السلطة حكمَ الأقلية المذهبية والعرقية، واستعمالَ القوة الحربية وجمعَ الثروة المادية. فأدى هذا إلى كثرة الإفتاء حينا. وإلى غلق باب الاجتهاد أحيانا، وإلى انكسار نظام القضاء دائما.

1- ففي عهد "خلفاء" بني أمية أهدرت حرمة مكة وأهلها. وضربت الكعبة بالمنجنيق. وامتطات خيولهم مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم. وأثيرت فتنة خلق القرآن. مثلما اضطهد العلماء كما حدث مع أبي حنيفة النعمان. ونفس الشيء حدث لأحمد بن حنبل.

وهو الأمر الذي لا نراه خلال عهد الأمير عبد القادر الذي اعتمد على خيرة العلماء في تأسيس دولته، بدءا بتأسيس المجلس الشورى العالي الأميري، وبناء المدن والحصون والمصانع الحربية، وبتوسيع دائرة العلاقات الدبلوماسية، وبنشر التعليم الإسلامي.

ونتيجة للقطيعة التي حدثت بين العلماء والحكام بعد الخلفاء الراشدين ظلت المبايعة تُطلَبُ وتفتك، على خلاف ما حدث للأمير عبد القادر الذي بايعه العلماء مبايعة فقهية سنية، وتمت هذه المبايعة برضاء الطرفين عملا بكتاب الله وسنة رسوله. لهذا باركها الخاصة من الجزائريين وعامتهم. وكانت هذه المبايعة غير محددة الصلاحيات ولا المدة الزمنية، ولهذا لم تتجدد طيلة حكم الأمير عبد القادر.

ويؤرخ للبيعة في الإسلام ببيعة النساء (بيعة العقبة الأولى) التي تمت بين الرسول صلى الله عليه وسلم واثني عشر رجلا من أهل يثرب في السن الثانية عشرة من البعثة، حين التقوا بالنبي في العقبة وبايعوه على السمع والطاعة. وقد قال ممن حضر وبايع: "فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفرض علينا الحرب (الجهاد) على ألاّ نشرك بالله شيئا. ولا نسرق ولا نزني، وألاّ نقتل أولادنا، ونأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في مكروه، فإن وافيتم فلكم

الجنة، وإن غشيتم من ذلك فأمركم إلى الله عزّ وجلّ، إن شاء غفر وإن شاء عذب"[1].

ثم كانت بيعة العقبة الثانية في السنة الثالثة عشرة من البعثة من مسلمي يثرب؛ حيث تمت المبايعة بأخذ العهد على الصيغة الآتية: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب أعيان يثرب: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساؤكم وأبناءكم. فبايع أولئك الأعيان على لسان أحدهم قائلا: نعم، والذي بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع منه أزرنا (نساءنا) فبايعناك يا رسول الله[2]. وبعد هذه المبايعة شرع الرسول صلى الله عليه وسلم في تنظيم الحكم بالانتقال إلى يثرب.

ثم كانت بيعة الخلفاء الراشدين بدءا ببيعة السقيفة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه. (وكانت بيعة خاصة من عمر ومن معه بقول عمر: ونحن نبايعك فنبايع خير من أحب رسول الله منا جميعا، ثم صارت بيعة عامة من على المنبر في المسجد). والتي كانت موضوع أبحاث كثيرة. وبعدها انزلقت البيعة وتأرجحت بين راغب وراهب من دون أن تُرسى

1- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج. 1، ط. 14، دار الجيل-بيروت، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، 1996، ص. 80. وذهب حسن إبراهيم حسن إلى القول: ولعل هذه البيعة سميت ببيعة النساء لوجود عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بها، وهي أول امرأة بايعت الرسول عليه الصلاة والسلام. المرجع نفسه. ص-ص. 80-81

2- لمزيد من المعلومات يراجع: حسن إبراهيم حسن،ج. 1، ص-ص. 82-83

بالشورى الدينية الشرعية، إلى أن كانت هذه البيعة عهد الأمير عبد القادر في الجزائر.

4 – مفهوم السلطة

سبق وأن عرضنا مفهوم السلطة في كتابنا من الملتقيات التاريخية[1]، حيث بينا "أن السلطة مفهوم أخلاقي يشير إلى النفوذ المعترف به كليا أو جزئيا لفرد أو لنسق أو لتنظيم مستمد من خصائص وخدمات معينة. وقد تكون السلطة سياسية أو أخلاقية أو علمية"[2]. فهي "إحدى الخصائص الأساسية للدولة كتنظيم يتميز عن التنظيم القبلي"[3]. فتكون السلطة فنّ الحكم. وهي تعتمد على القوة وتأخذ وسائل متعددة كالدين والجيش والحاكم، لهذا اعتبرها كثير من المفكرين العامل المحرك لتطور الإنسان. ومفهوم القوة مقترن بمفهوم العدل وبالخضوع والولاء لأن من مصلحة الدولة ومن مميزاتها تطبيق العدالة والقوة في نفس الوقت.

1- طباعة دار البعث-قسنطينة 2001، ص-ص. 94-126

2 – روز، نتال (م)، بودين (ب)، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، ط. 5، دار الطليعة بيروت 1985، ص- ص. 248-249.

3 -روز، المرجع نفسه، ص. 249.

5 – وضع الغرب الجزائري

من المتعارف عليه أنه بتسليم الباي حسن مدينة وهران تصارعت خمسة أطراف على تولي السلطة للسيطرة على هذا الإقليم، وتمثلت في النفوذ المغربي الذي احتل تلمسان. والنفوذ الفرنسي الذي بدأ يوجه حملات عسكرية ويتوسع في البلاد. وفي ما تبقى من النفوذ العثماني المتمثل في قبائل الدوائر والزمالة[1]. والنفوذ التونسي حين جاء ممثل باي تونس إلى هذه المنطقة ليحكمها بواسطة "المعاهدة التي تمت بينه وبين السلطة الفرنسية. أمام هذه المستجدات حصل إجماع جزائري على ضرورة تأسيس سلطة جزائرية مسلمة، الأمر الذي أدّى إلى تأسيس دولة بمبايعة الأمير عبد القادر.

1- لمزيد من التعرف على هاتين القبيلتين يراجع ما كتبناه حول: "معاهدة الدوائر والزمالة، جوان 1835"، الثقافة، العدد 88، وزارة الثقافة، سبتمبر 1985. ص — ص. 123 — 136.

6 – مبايعة الأمير عبد القادر

جدول رقم 1 لكلمات مفتاحية في نص البيعة الأولى

الكلمات المذكورة في نص البيعة الأولى وما يقاربها	عدد المرات	نسبة % (من 471 كلمة)	نسبة % (من 59 كلمة)
الله	13	2,76	22,03
البيعة	6	1,27	10,17
الرسول (ص)	5	1,06	8,47
الدين	5	1,06	8,47
توفر صفات الإمارة	5	1,06	8,47
الطاعة	3	0,64	5,08
الكافرون المفسدون الظالمون	3	0,64	5,08
نصرة الضعفاء	3	0,64	5,08
الأولياء الصالحين/الصلاح	3	0,64	5,08
أهل الحل والعقد	2	0,42	3,39
المسلمون	2	0,42	3,39
الإمام	2	0,42	3,39
الإمارة	1	0,21	1,69
العلماء	1	0,21	1,69
الصحابة	1	0,21	1,69
السلطان	1	0,21	1,69
الجهاد	1	0,21	1,69
الباطن	1	0,21	1,69
الظاهر	1	0,21	1,69

جدول رقم 2 لكلمات مفتاحية في نص البيعة الثانية

الكلمات المذكورة في نص البيعة الأول وما يقاربها	عدد المرات	نسبة % (من 556 كلمة)	نسبة % (من 60 كلمة)
الله	12	2,16	20
البيعة	11	1,98	18,33
الدين الإسلامي والمسلمون	7	1,26	11,67
الرسول (ص)	5	0,90	8,33
الكافرون/ المفسدون، الظالمون	5	0,90	8,33
الإمام/عبد القادر	4	0,72	6,67
الملة/ الشريعة/ الأمة	4	0,72	6,67
الطاعة	4	0,72	6,67
الجهاد/ الشهداء	2	0,36	3,33
الإجماع	1	0,18	1,67
الحكومة الجزائرية	1	0,18	1,67
الكتاب والسنة	1	0,18	1,67
الدولة السنية	1	0,18	1,67
الصحابة	1	0,18	1,67
القبائل	1	0,18	1,67

7 - الاستنتاجات

مما سبق يمكن القول إن للمبايعة أكثر من مفهوم، لغوي، وإصطلاحي، وتاريخي.

مثلما يمكن القول إنه بمبايعة الأمير عبد القادر يكون المجتمع السياسي الجزائري قد افتك السلطة من رؤساء القبائل والأسر المحلية. وسدّ الطريق في وجه المنتهزين الذين وضعوا أنفسهم في خدمة سلطة الاحتلال الغربي. مثلما منع ملك المغرب من السيطرة على مناطق في الغرب الجزائري.

ومن جهة أخرى تكون هذه البيعة تكريسا لسلطة تقليدية جزائرية (Traditionnelle)آخذة شرعيتها من قدسية الشريعة الإسلامية ومن العرف السائد. ولهذا حظي الأمير عبد القادر بقداسة مبايعيه مثله مثل الشريعة الإسلامية والتقاليد الجزائرية؛ التي كان هو نفسه محكوما لها وحاكما بها. ويتطابق هذا مع ما ذهب إليه ماكس فيبر حين قال: ترتكز السلطة التقليدية على الخاصية المقدسة للقوانين التي توارثت مع مرور الأزمان، لأن الحاكم يتم تعيينه بموجب قانون موروث وتكون له الطاعة بموجب المنصب الذي تمنحه له التقاليد، وأن الشخص المالك للسلطة ليس رئيسا

وإنما هو سيد[1]. يعني هذا أن الأمير عبد القادر لم يكن رئيس دولة فقط، وإنما كان سيد قومه.

وبناء على ما سبق تكون هذه السلطة التقليدية السلفية الأميرية قد واجهت وبقوة نوعين من السلطة، الأولى تمثلت في ما يعرف بالسلطة الكاريزمية[2] (Charismatique) المشخصة في سلطة القائد. والنوع الثاني من السلطة هو المعروف بالعقلانية (Rationnelle) التي جاءت بها القوة الاستعمارية والقائمة على قوة القانون الوضعي العقلي[3].

وبذلك علت إرادة الدّولة شرعا فوق إرادة الفرد والقبيلة والغزاة، واتخذت من الدين الإسلامي "إيديولوجية". تطبيقا للدين الإسلامي الذي يقر بأن تكون الدّولة مستمدة العقيدة الدينية. ومن ثم فالرابطة بين أفراد أمّة أو جماعة ليست رابطة المكان والدّم فقط ولكن رابطة الدّين والوشائج، وفي ما يفرضه الواقع من مصير أخوي واحد في الدنيا

---

1 - Max Weber, Economie et société, t. 1, traduit par Julien Freud, Plon, Paris 1971, P. 232.

2- تقوم الكاريزمية على المواهب والقدرات التي يتحلى بها القائد أو الشيخ أو الملك خاصة حين يضفي على شخصه قيما دينية وروحية. وهو لا يتم تعيينه بالانتخابات وإنما على أساس المميزات التي يتفرّد بها، مثلما هو الحال لدى قائد القبائل المخزنية في الغرب الجزائري، خاصة حين يضفي على شخصه قيما دينية وروحية.

3 - Max Weber, Le Savant et la politique, traduit par Julien Freud, Plon, Paris 1959, p. 114.

والآخرة[1]. إذ يقول ابن تيمية: "إنّ بني آدم لا تتم مصلحتهم إلاّ باجتماع حاجة بعضهم إلى بعض ولا بّد لهم عند الاجتماع من رأس، لأنّ الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ولا يتّم ذلك إلاّ بقوة وإمارة[2]".

1- النّجار عبد الحميد، "الدّولة والسّياسة في فكر المهدي بن تومرت"، الثقافة، العدد 81، وزارة الثقافة، الجزائر 1984، ص. 125 .

2- تقي الدين أحمد ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الرّاعي والرّعية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي (د. ط)، دار الجيل، بيروت 1988، ص. 138

نص البيعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى على سيدنا محمد، الذي لا النبي بعده.

الحمد لله، الذي جعل نصب الإمام، من مهمات الدين، لتصان به النفوس والأموال، وتجتمع كلمة المسلمين. والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وآله وأصحابه أجمعين.

وبعد: فقال (صلى الله عيه وسلم) إن الله يحمي بالسلطان، مالا يحمي بالقرآن. هذا، في الزمان الذي فاض فيه العدل. ونضب فيه الجهل. فما بالك بزماننا!! الذي كثر فيه الباطل، وانتشر وخفي فيه الحق، ولم يظهر له أثر ؟! حتى إن أعداء الله الكافرين، ملكوا كثيرا من بلاد الإسلام. وتشتت الكلمة. واختل النظام.

ولم يجد الناس لقتالهم سبيلا. ولا من يكون للجهاد دليلا. فلجئوا إلى الله تعالى. وسألوه أن ييسر لهم من يقوم بأمر دينهم، فما وجدوا من تتفق عليه كلمة أهل الحل والعقد، سوى السيد محي الدين بن مصطفى بن المختار لكماله، وكثرة ما عنده من الأعوان والأنصار. فطلبوا منه: أن يبايعوه على السمع والطاعة، فاعتذر إليهم بكبر سنه. وبعد زمان طويل، تكرر فيه طلبهم مرات. ووقع إلحاحهم تارات. ورأى أن النظر في هذا الأمر، قد تعين عليه. وأتاه بعض علماء "غريس" وهو من الصالحين، فقال له إن أولياء الله تعالى، قد اتفقوا على نصب ولدك عبد القادر لنصر دين الله. ورأى أن ولده مستعد لهذا الأمر، فحينئذ وافقهم على نصبه ونصرته، لكونه: ذا حزم وعزم وشجاعة وعقل سليم وذات سليمة، صالحا لتنفيذ الأحكام. فاجتمع أهل الحل والعقد، وبايعوه من غير طلب منه للإمارة. ولا متابعة للنفس الأمارة. بل بايعوه رغما عليه. وطلبوا والده بالله تعالى. وتوسلوا إليه برسول الله (صلى الله عليه وسلم) مدة تزيد على سنتين، فوافقهم على بيعة ولده، تطيبا لخواطرهم، ورعاية لرفع الظلم عن الضعيف، ودفعا للفساد والتعنيف. فحضر للبيعة: جميع أهل غريس الحشم شرقي وغربي وعباسي وخالدي وإبراهيمي وحساني وعوفي وجعفري وبرجي وشقراني وغيرهم....كبني السيد دحو وبني السيد احمد بن علي والزلامطة ومغراوة وخلوية والمشارف وكافة أهل وادي الحمام وأعلنوا جميعا: بطاعته

ونصرته والرعاية له. بحيث أنهم يحمونه، بما يحمون به أنفسهم وأموالهم. وان ينصروه نصرا مؤزرا. واتفق علماء الاقليم على بيعته وطاعته. ولم يخالف منهم أحد وهم في حال طوعهم واختيارهم.

وفرحوا به أشد الفرح، نظرا لما كانوا عليه من الضيق والترح. وكل من سمع به، من أهل الآفاق يزداد فيه رغبة، وذلك لعلمهم بقوة عقله، وشدة نجدته، وصلاح رأيه. فعلى من بايع أن يبذل جهده في نصرته، وعضده، لقول الصادق الأمين: الدين النصيحة، لله ولرسوله ولأئمة المسلمين. ومن نكث فإنما ينكث على نفسه .

حضر ما ذكر من العلماء والأشراف، السيد الأعرج، والسيد محمد بن حوا بن يخلف وإخوته والسيد محمد بن الثعالبي، والسيد عبد الرحمن بن حسن الدحاوي وإخوته، والسيد محمد بن عبد الله بن الشيخ المشرفي وقرابته، وكافة أولاد السيد أحمد بن علي. حاصله: جميع علماء غريس وأشرافه حضروا لهذه البيعة الميمونة، ورضوا بها.

وحضرها كاتبه محمد بن عبد القادر، عامله الله بلطفه في الباطن والظاهر. في الثالث من رجب الفرد، سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف (1248) هجرية، الموافق للسابع والعشرين من نوفمبر (تشرين الثاني) سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة وألف ميلادية (1832).

نص البيعة الثانية

لما شاع أمر البيعة الأولى، وذاع، أقبلت الوفود تترى من القاصية إلى الحضرة العلية رغبة في الطاعة وامتثالا للأوامر السامية المطاعة. فاجتمع الطم والرم، من جميع الآفاق. ثم انعقد مجلس عام، حضره الجمهور من الأشراف والعلماء والرؤساء من كل قبيلة وفريق. وجرى فيه عقد البيعة الثانية العامة بمحل العموم من قصر الإمارة. وهذا نص ما حرره العلامة الحجة الفهامة السيد محمود بن حوا المجاهري في ذلك اليوم. وقرأه على رؤوس الأشهاد:

بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا ومولانا، محمد النبي الطيب الكريم. وعلى آله وأصحابه، ذوي الفضل العظيم.

حمدا لمن فضل أمة محمد (عليه السلام). وخصها بمزايا، لم يعطها أحدا من الأنام. وجعلها خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكرات والأرجاس. هداهم به إلى مهيع الرشاد وطهرهم من عبادة الأوثان والأنداد والأضداد. وجعلهم الشهداء على من سواهم من الأنام فشرف بذلك أمرهم، ورفع قدرهم، وجعل إجماعهم حجة، وسبيلهم أقوم محجة. وأوجب عليهم نصب إمام عدل. وفرض عليهم اتباعه في القول و الفعل ليكف الظالم، وينصر المظلوم، ويجمع شملهم، بالخصوص والعموم. ويكافح بهم عدو الدين. لتكون العليا كلمة المسلمين وصلاة وسلاما، على من صدع بالحق، ودعا الخلق إلى القول بالصدق، وجاهد في الله حق جهاده حتى استقام المعوج، وآب عن فساده. سيدنا ومولانا، محمد أشرف رسول، وأكرم شافع مقبول صاحب المقام المحمود، والحوض المورود. وعلى آله وأصحابه، أهل وداده وسيوف جلاده، الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم، في طاعته ونصرته وأوحوا شريعته، وبينوا طريقته. فحازوا بذلك أسنى المراتب، ونالوا الدرجات العلى، والمناصب.

فهم نجوم الاهتداء، ومصابيح الإقتداء. هذا، ولما انقرضت الحكومة الجزائرية، من سائر المغرب الأوسط. واستولى العدو على مدينتي الجزائر ووهران، أعادهما الله دار إيمان وإسلام، بجاه النبي (عليه السلام).

وطمحت نفسه العاتية، إلى استيلاء على السهول والجبال، والفدافد والتلال. وصار الناس في هرج ومرج وحيص وبيص. لا ناهي عن المنكر، ولا من يعظ ويزجر، إلا من وفقهم الله للهداية.

وظهرت عليهم العناية، من: رؤساء القبائل وكبرائها وصناديدها وزعمائها، فتفاوضوا في نصب إمام يبايعونه على الكتاب والسنة، يسمعون لأمره ونهيه، ويتابعونه في جميع أحواله. وجالوا في ميدان أفكارهم، فيمن هو بذلك أهل، من ذوي الكمال والفضل. فلم يجدوا لذلك المنصب الجليل، إلا ذا المنسب الطاهر، والكمال الباهر، رأس الملة والدين، قامع أعداء الله الكافرين، أبا المكارم السيد عبد القادر، ابن مولانا السيد محي الدين، أيد الله به الإسلام والمسلمين. وأحيا به ما اندرس من معالم الدين. فبايعوه على كتاب الله الكريم"إن الذين يبايعونك، إنما يبايعون الله. يد الله فوق أيديهم" .

ثم قدمت على حضرته الوفود من سائر الجهات والحدود، فبايعه: أولهم وآخرهم، شريفهم ومشروفهم، كبيرهم وصغيرهم؛ بيعة تامة كاملة عامة، بيعة سمع وطاعة، أفرادا وجماعة، بيعة عز وتعظيم وتبجيل وتكريم، بيعة يعز الله بها الإسلام، ويخذل بها الفجار اللئام. يمنعون عنه السوء بما يمنعون به: أنفسهم وأولادهم وأموالهم. ويبذلون في مرضاته: أرواحهم وأكبادهم. إن أمرهم، سمعوا. وإن نهاهم؛ خشعوا وخضعوا. يطيعونه، ما ساسهم بالشريعة الغراء وينصرونه، في السراء والضراء. فمن وفى ببيعته، نال مسرته، واتقى مضرته، ولاقى مبرته. ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وخسر في يومه وأمسه. والله المسؤول، في هداية الخلق، إلى طريق الحق، والرأفة والرفق. ولما ازدهرت هذه البيعة بكمالها وطرزت بجلالها وجمالها، كمل سرورها. وتمت بدورها بوزارة أبي المحاسن السيد محمد بن السيد العربي، أقام الله به أمر هذه الدولة السنية، والإمامة البهية. وممن حضر هذه البيعة، وبايع. وسمع لها وتابع. من القبائل الشرقية، والأحياء الغربية: الوزير المذكور وبنو عمه، وسائر العلماء والأعيان، من: معسكر، قلعة هوارة، وأحوازهما: كبني شقران، وبني غدوا وسحرارة، وقبائل غريس، واحيائه وعمائره وعشائره، واعيان القبائل الشرقية، كالعطاف، وسنجاس وبني القصير، ومرابطي مجاجة، وصبيح، وبني خويدم، وبني العباس، وعكرمة، والخال

وفليتة، والمكاحلية، وأحلافهم، وأعيانها: مجاهر، والبرجية، والدوائر، والزمالة، والغرابة، وكافة القبائل اليعقوبية، من: الجعافرة، والحساسنة، وبني عامر، وبني إبراهيم. ثم القبائل القبلية: كأولاد شريف وأولاد الكرد، وصدامة، وخلافة، ونحوهم، ممن يطول ذكرهم، من قبائل المغرب الأوسط وعمائره: سهله ووعره. ثم الكل بايعوه: عن أنفسهم وعن قبائلهم، بالإنابة العامة، من الخواص والعوام.

وقعت هذه البيعة العامة، في ثلاثة عشر رمضان، سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف الموافق للرابع فبراير عام 1833



أخذت هذه الصور من مجلة مسالك عدد 6، مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر 2003

الريف والمدينة

في استراتيجية الأمير عبد القادر

الريف والمدينة
في استراتيجية الأمير عبد القادر[1]

مقدمة

تشكل كل من المدينة والريف محور الاستراتيجية الحربيـــة في الدولة الجزائرية عهد الأمير عبد القادر. ونحاول في هذه المداخلة أن نتحدث عن الريف والمدينة في هذه الاستراتيجية من خلال النقاط الثلاث الآتية:

1 – مدخل

2 – العلاقة بين المدينة والريف عهد الأمير عبد القادر

3 – بناء المدن

4 – استراتيجية ومعارك الأمير عبد القادر

1 – مدخل

ليس من السهولة بمكان للتحدث عن الريف والمدينة بدقـــة متناهية. وأن الحديث عنهما في رأيي يتطلب الاطلاع على أهـــم المصادر والتي أراها في أساسين.

1 – نشر هذا المقال في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، عـــدد 11، فيفري 2002، ص-ص. 163-182

الأول: في الكتابات بمختلف اللغات، خاصة وأن المتعـــارف على الجزائريين أنهم كانوا يكتبون فقط ولم يكونوا مـــن هـــواة الرسم.

الثاني: فيما تركه الرسامون من لوحات جسدوا من خلالهـــا ملامح للريف والمدينة. وعلى هذا الأساس يتطلـــب الاســـتعانة بالإيكونوغرافيين والأثريين. لتتقـــارب ولم لا لتكتمـــل القـــراءة التاريخية والفنية والأثرية.

وعلى هذا الأساس يكون ميدان البحث لتحديد معالم الريف والمدينة ينحصر في ما تركه الكتاب من مادة خبرية مدونة. وفي ما أبدعه الرسامون من إيحاءات من دون كتابة. وفيما تمكن الأثريون من اكتشافه في باطن الأرض.

وفيما يتعلق بالجانب الفني لنا أن نبدي ملاحظتين.

الأولى: أن الحملة الفرنسية والتوسعات العسكرية في الجزائر صاحبها جيش من الرسامين، سواء أكانوا من المحترفين المـــوظفين الرسميين أم من الهواة المغامرين. فالموظفون منهم كانوا جواســـيس ومخبرين برتب مثل مهندس جغرافي. إذ كانت لأعمـــالهم فائـــدة كبيرة للسلطة الفرنسية بتعريفهم لجـــيش الاحـــتلال بتضـــاريس المنطقة. وبتدوينهم لأهم الأحداث من معارك وغيرها مثل ما هو الحال لمعركة المقطع وللزمالة. وهذا يفسر سرّ وجود أهم اللوحات

التي رسمها هؤلاء أثناء التوسع الفرنسي في قصر فرساي وليس في متاحف كاللوفر مثلا.

الملاحظة الثانية: تتمثل في وجود صعوبة في توظيف وقراءة هذه اللوحات. لأنه من خلال القراءة تكون الحيرة بين مطابقة هذه الصورة للواقع آنذاك وبين ذاتية الرسام وما يريد توصيله. وعلى هذا الأساس تكون الصورة ذات وجهين لحقيقتين؛ حقيقة الواقع وحقيقة ذات الرسام. وهو ما يفسر في رأينا الإيحاء الدائم والمتعمد بعظمة فرنسا في أغلب اللوحات.

2 – العلاقة بين المدينة والريف عهد الأمير عبد القادر

يشكل الريفُ أغلبَ مساحة الأرض وقاعدة الهرم الاجتماعي الجزائري. وتشكل القبيلة والأسر الموسعة أساس سكانه. ويتميز عن المدينة بكونه قائم على ملكية الأرض الشاسعة المساهمة في اقتصاد البلاد. وعلى التضاريس المركبة من حيث توفر الرعي والأخشاب والحصانة. وعلى الطرق الصوفية التي تسيرُ حيوات الناس. هذه الطرق الصوفية ذات السلطة الروحية والدينية والمدنية والقضائية. لهذا كان لها من الولاء الشعبي ما يضاهي بل يفوق الولاء العام لنظام الحكم آنذاك[1]. ومن ثمةَ كان لها دور هام في

1 – كانت أهم الطرق الصوفية في الوسط والغرب والشرق الجزائري هي الرحمانية والتيجانية والقادرية. لمزيد من المعلومات يراجع:

إقرار التوازن الاجتماعي بين الريف والمدينة أكثر مما كان للنظام السياسي العثماني من دور في هذا التوازن، بموازاة مع ما كان يقوم به العامل الاقتصادي الحرفي والفلاحي والتجاري. ومع ما كانت تقوم به الأرض بإنتاجها من دور بارز في استمرار العلاقة بين الريف والمدينة. وكان لهذا البعد الممتد في عمق الأرض وللطرقية والريف موقعٌ في الاستراتيجية الحربية للأمير عبد القادر.

إذ كانت القبيلة بنوعيها الزراعية والرعوية، المستقرة والمتنقلة الأساسَ الثالثَ بعد الطرقية والأرض للحياة الاجتماعية في الريف. وبناء عليه تكون الطريقة والأرض والقبيلة الأسسَ السائدةَ والمحددة لمصير أغلب الجزائريين بما فيها زعماؤهم وعلى هذا الأساس يكون الأمير عبد القادر وغيره نتاجَ الريف والطرق الصوفية وليس نتاج المدينة بالأساس.

وكانت القبيلة لا تتكون من أفراد ينحدرون بالضرورة من جد واحد؛ برغم أن الجد كان المرجعية بالنسبة لأفراد القبيلة — عن حقيقة أو عن وهم — فالقبيلة أو العشيرة غالبا ما تكونت من تجمعات ذات مصلحة مشتركة امتصت ذاتية الفرد بولائه لتلك القبيلة أو العشيرة. ومن ثم ولمصلحته كان على الفرد أن يلتزم بضرورات أخلاقية ودينية واقتصادية مقابل حصوله على حماية

Cour (A.), « Recherche sur l'état des confréries religieuses musulmanes », in R.A. année 1862, p-p.291 -334

وأمن ومورد رزق من الأرض. وتكون الأرض هنا محل النشـــاط والقاعدة الأساس لتلك القبيلة أو العشيرة. مثلما للســـلالة مـــن أساس، وإن كان اسم الجد يُرفع كشعار لتعزيز الأبوة الذكوريـــة وللتخفيف من حدة النزاعات داخل القبيلة ولتعاضد أفرادهـــا[1].

ولكن الذي حدث مع الأمير كفرد هو أنه لم يذب بولائه لقبيلته بني هاشم ولم يتقوقع في الريف، بل حاول توسيع قـــوة القبيلـــة بتوحيد صفوفها للدفاع عن الجزائر. وبهذا الأمر يكون الأمير قـــد وضع مسار الحركة الوطنية الجزائرية في الطريق الصحيح. وقد أخذ منه هذا العمل وقتا كبيرا وجهدا مضنيا إلى درجة يمكن القياس بها ضعفَ الأمير وانهزامَه في النهاية بفعل ميل كثير من هذه القبائل إلى الصف الفرنسي ضدّه. وتعتبر هذه العلاقـــة العدائيـــة في بعـــض الصفوف الجزائرية من النقاط الفاعلة التي شغلت الأمـــير عبـــد القادر، إذ كان يحارب على جبهتين الأولى فرنســـية في المدينـــة والريف والثانية جزائرية في الريف.

ومن غير المستبعد أن يكون هدف الأمير من محاولة توحيـــد الصف القبلي الجزائري تطويرَ الوضع الاجتماعي والاقتصـــادي للبلاد لقناعته في أن سمة الحياة الاقتصادية والاجتماعيـــة للريـــف الجزائري لا تتحدد في شكل مطلق بالقبيلة وبالعلاقات فيما بينها

---

1 - للمزيد ينظر: عدي، الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ترجمة جوزيف عبد الله، ط.1، دار الحداثة، بيروت 1983، ص. 18 وما بعدها.

فقط (رغم أنها الإطار لهذه الحياة) إنما كانت تتحدد أيضا بالنظام العقاري /الأرض/ وبالأدوات الفلاحية وبالأسواق في إطار نظـــام دولة قوية قائم على وحدة الصف القبيلي. بمثل ما تقابلها من نمط لسمة الحياة في المدينة بالدكاكين والحرف[1]. لأن الأرض بالنســـبة لسكان الريف فهي هوية بقدر ما هي مردود مادي أيضـــا. وفي الغالب كانت النزاعات بين الأفراد داخل القبيلة أو الأسرة الواحدة تقل بفعل الانتماء إلى الجد الواحد. وغالبا ما تكون أسباب هذه النزاعات بين قبيلة وأخرى سواء من أجل الأرض وما عليها مـــن أكل وماء أم من أجل التجارة. وكان من اســـتراتيجيات الأمـــير التخفيف من حدّة هذه النزاعات والنعرات بين شـــيوخ القبائـــل بإلزامهم الولاء له وقَبول المبايعة. ولهذا كانت المواجهة الحربية بينه وبين قبائل رفضت الولاء لأسباب كثيرة يضيق المجال لذكرها. وإن كان ولا بدَّ أن تذكر في مقدمتها النعرات القبلية والاعتداد الذاتي لشيوخ القبائل والطرق.

والدارس لنفسية الأمير عبد القادر يتأكد له أنه أحبَّ الريف وفضله عن المدينة ونلمس هذا في شعره:

---

1 - للمزيد من المعلومات ينظر: ابن اشنهو، عبد اللطيف، تكـــون التخلـــف، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979، ص 25.

يا عاذرا لامرئ قد هام في الحضـر   وعاذلا لمحب البـــدو
والقفـــر
لا تــذممن بيوتـا خف محملـها   وتمدحــن بيوت
الطـين والحجر
لو كنت مـا في البدو تعذرنـي   لكن جهلت وكم في الجهل
من ضرر
أو كنت أصبحت في الصحراء مرتقيا   بساط رمل به الحصباء
كالـــدرر
أو حلت في روضة قد راق منظرهـا   بكل لـون جميـل
شيق عطـر
تستنشقن نسيما طـاب منتشـقا   يزيد في الـروح لم يسر
على قـذر

أو كنت في صبح ليل هـاج هاتنه   علـوت في مرقب
أوجلت بالنظـر
رأيت في كل وجه من بسائطـها   سربا من الوحش يرعى
أطيب الشجر
نباكـر الصيد أحيانا فنبغتـه   فالصيد منا مدى الأوقات
في ذعـر
****
الحسن يظهـر في بيتين رونقـه   بيت من الشعـر أو بيت
من الشعـر
أنعامنـا إن أتت عند العشي تخل   أصواتها كـدوي
الرعـد بالسحـر
سفائن البر بل أنجى لراكبـها   سفائن البحـر كم فيـها
من الخطـر
****
شرابهـا من حليب ما يخالطه   مـاء، وليس حليب
النـوق كالبقـر
أموال أعدائـنا في كل آونـة   نقضـي بقسمتـها بالعدل
والقـدر

ما في البداوة من عيب تذم به   إلا المروءة والإحسان بالبدر

وصحة الجسم فيها غير خافية   والعيب والداء مقسوم على الحضر

من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدى   فنحن أطول خلق الله في العمر

فيكون الأمير أحبَّ الريف شعرا وحياة وأحب المدينة مدنية واستراتيجية.

لأن الريف في قناعة أمثال الأمير عبد القادر هو المكانُ الذي يشكل الذاتَ لأغلبية الجزائريين بينما المدينة هي المكان الموضوع بالنسبة لهم؛ وعلى هذا الأساس يكون المكان للجزائري هوية أكثر مما هو مكان عيش مادي. وقد لا يستبعد أن يكون المكان/الريف عند الأمير هو المكان الجامع بين المحدود واللامحدود؛ بين المادي والروحي. أي أن المكان/الريف في شخص الأمير هو الفضاء الروحي والوجداني المتصل بعوالم أخرى تتجاوز الموقع الحيز كعالم التاريخ الممتد عبر كل الزمان وعالم التصوف المتسع إلى ما بعد أفق الإنسان. وهذا يفسر لنا أمرين في شخص الأمير؛ من خلال الأمر الأول يتبين لنا أن الأمير تقليدي في شعره حين يرتبط بالمكان الحيز ويحاكي البادية والسيف والخيمة والمرأة وهي صور فنية وردت عند شعراء العصر الجاهلي. ولكن الأمر الثاني يتبين من خلاله الأمير أنه

يتجاوز هذا المكان الحيز إلى فضاء لا متناهي وهو الذي طفح في تصوف الأمير عبد القادر فصار المكان هلاميا ودالا ومدلولا.

إذن يمكن استخلاص أهم العلاقات التي كانت تربط بين الريف والمدينة بوجود عمقٌ روحي طرقي يمتد من الريف إلى المدينة. وبانتشار الأسواق الأسبوعية في القرى والمدن. وبتملك بعض الأسر الحضرية لأراض بأحواز المدن الملاصقة للريف والمتداخلة فيه. وبوجود أصول سكانية ريفية تتوطن في المدينة. وبوجود قبائل مخزنية تتوطن في الريف وموالية للنظام العثماني.

وكان الريف الجزائري يساهم في تمويل المدينة بما تحتاج من المواد الضرورية. وبناء على ما ذكره حمدان خوجة فإنه كانت بالريف قرى كثيرة؛ وكانت هذه القرى المنتشرة في جبال قليعة وزواوة وبني عباس وبجاية والغرب الجزائري تشبه المدنَ حيث سطوحُها مغطاة بالقرميد، ومساجدها مآذن. وبهذه القرى مراكز لصناعة الأسلحة والذخيرة. وكان سكان هذه الأرياف على دراية جيدة بطرق استخراج المعادن، خاصة الحديد والرصاص وملح البارود، بجانب إجادتهم لصناعة الأغطية والبرانس من الصوف. ولهم مهارة فائقة إلى درجة أنهم تمكنوا من صناعة النقود. وذهبت بهم المهارة إلى ضرب وتقليد النقود الأجنبية، بالإضافة إلى معرفتهم الجيدة لطرق متطورة، مثل كيفية حفظ الحبوب بباطن

الأرض لمدة سنوات طويلة[1]. وعلى هذا الأساس يمكن القول أنه كان للريف نظام محكم (إداري واقتصادي واجتماعي) يتميز عما كان في المدينة. وقد استغل الأمير عبد القادر هذه المعارف بالريف ووظفها في استراتيجيته الحربية.

وكان للتجارة دور هام في حياة الجزائريين. وكان نشاطها يتم داخليا وخارجيا. فالنشاط الداخلي كان بين المدن والقرى بواسطة الأسواق الأسبوعية المنتشرة في أنحاء البلاد أولا. وثانيا بواسطة القوافل التي كانت من وإلى: الغرب - الشرق. ومن وإلى: الشمال -الجنوب؛ كطريق: تونس -قسنطينة -الجزائر -تلمسان. وطريق عين صالح -متليلي -ورقلة.

أما النشاط التجاري الخارجي كان يتم بين الجزائر وكل من تونس والمغرب وأوروبا حيث كانت المواد الأساسية المصدرة هي: الحبوب والزيوت والصوف والمرجان والشموع والجلود وريش النعام. وكانت المواد المستوردة هي: العطور والمصبرات والأسلحة والأقمشة ومواد البناء والسكر والقهوة والورق والحديد. وكان للتجار اليهود المتحولين دور فاعل في رواج المنتجات الأوروبية التي عرفت إقبالا كبيرا من طرف الجزائريين وكان ذلك على

1. Hamdan (B. O. K.), Le Miroir, traduit de l'Arabe par H.D.Goetschy, Paris 1833, chapitre 3.

حساب المنتجات الجزائرية[1]. بجانب رواج المنتجات الصناعية المغربية والصحراوية في الجزائر.

والسؤال الذي يمكن طرحه هو كيف تعامل الأمير عبد القادر مع هذه الشبكة التجارية الريفية-المدنية؟

من المؤكد أن الأمير عبد القادر تفطن إلى أهمية هذه الطرق واستغلها في حروبه. إذ ربط أهم مدنه بالساحل حيث جعل لتلمسان مرفأ رشكون. ولمليانة مرفأ شرشال. ولمعسكر مرفأ أرزيو. مثلما ربط مدن التل بمدن الصحراء. وفتح باب الاتصال مع كل من المغرب وتونس؛ إذ أن الأمير عبد القادر بعث وفدا برئاسة محمد الصغير بن الحاج خليفته على بسكرة برفقة محمد كانون مزودا بهدية معتبرة آنذاك ولقي الوفد الجزائري من الترحاب وكرم الضيافة بما يليق بالمقام مراعاة لشخص الأمير بردّ باي تونس على هدية الأمير بهدية معتبرة دلالة على التجاوب والاستعداد للتعاون[2].

ومن غير المستبعد أن يكون هدف الأمير من هذا العمل هو توحيد الصف المغاربي العربي الإسلامي لمواجهة التحديات الأوروبية. ولعلّ هذا يفسر اتصال الأمير بكل من نظامي المغرب وتونس، من

1 - ابن اشنهو، عبد اللطيف، تكون التخلف في الجزائر، ص 42.

2 - محمد باشا بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج. 1، المطبعة التجارية، الإسكندرية 1903، ص. 139.

دون الاتصال بالسلطنة العثمانية الذي لم يحدث إلاّ في سنوات متأخرة أي منذ عام 1840[1].

ومهما يكن فإن وجود المدن ساعد على تطوير هذه التجارة الداخلية والخارجية، مثلما ساعدت التجارةُ والأسواق هي الأخرى على نمو المدن، فمدينة العَثمانية مثلا في الشرق الجزائري نمت بفضل سوقها المشهور.

3- بناء المدن

بعد إقرار البيعة. وتعيين رجال الدولة الأكْفاء. وتأسيس جيش نظامي شرع الأمير عبد القادر في بناء المدن؛ على الرغم من أن المتعارَف عليه أنه ريفي المولد والنشأة والذاكرة. لكن الواقع فرض عليه أن يهتم بالمدينة وينفق شيئا كبيرا من الأموال والجهد والوقت. وهو ما نلمسه في ما بناه من مدن وحصون. ومن خطابه للفرنسيين حين قال: "لقد أقمت على حدود التل عددا من الحصون كلفني أموالا طائلة بينما كنت أواجه صعوبات جمة، وكان الهدف من إقامتها هو إشعار قبائل الصحراء المضطربة بالسلطة، والابتعاد عن هجماتكم، ولكن حطمتم هذه الحصون

1 - لمزيد من المعلومات تراجع المراسلات من الأمير عبد القادر إلى الباب العالي في كتابنا دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية، دار البعث، قسنطينة 1987.

فيما بعد. لقد كنت مقتنعا أنه متى استأنفت الحرب فإنه علي أن أترك لكم كل المدن الواقعة في الخط الوسط للأطلس، ولكن يكون من المستحيل عليكم على الأقل لمدة طويلة أن تصلوا الصحراء"[1]. فموقع المدينة في مخيال الأمير كبير جدا ولكن قناعته كانت في تأسيس مدن داخلية من دون تأسيس مدن ساحلية لأسباب حصرها الأمير نفسه في أنه ليست له سفن. إذ قال في هذا الأمر: "ولو أنكم راضون حقيقة بهذه المدن (الساحلية) لتركتكم تعاتون منها، لأن البحر ليس من شأني، وليس لي سفن"[2].

وكان هدفه الكبير من بناء هذه المدن تأسيس دولة إسلامية جزائرية قوية بتوحيد الشعب الجزائري وحماية أرضه وعرضه، إذ قال في هذا الأمر: "إن الإرادة الإلهية اختارتني لتوحيد شعب يحكمه من ليس له من الإسلام سوى الاسم. إننا نحارب من أجل

1 - مزيان عبد المجيد، "عبقرية متكاملة" الثقافة، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر 1985، ص.7. وللمزيد من التفصيل يراجع: فريدة قاسي، الدولة في فكر الأمير عبد القادر، ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 1999، ص-ص. 246-248

2 - هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس 1974، ص. 139

أرضنا وأطفالنا ونسائنا وكل ما يتعلق بديننا"[1]. ويكون الأمير عبد القادر قد ربط هذا العمل بركن الجهاد.

ويمكن حصر أهداف الأمير عبد القادر الأخرى من بناء المدن والحصون في الآتي:

- لأهميتها في التجارة وفي الصناعة وفي نشر المدنية.
- لتثبيت وتقوية الدولة الجزائرية الفتية
- لحماية المدن الكبيرة، مثل معسكر بمدن وحصون أخرى
- لمواجهة فرنسا بدولة وبسلطة وبجيش وبحاكم وبمدينة مقابل دولة وسلطة وجيش وحاكم ومدينة.
- لجمع السكّان والمشردين والأسرى في مراكز حضرية لتسهل إدارة شؤونهم
- لربط الصحراء بالساحل
- للسيطرة على القبائل الثائرة ضده
- لتخزين المواد الضرورية بها وتنشيط الصناعة الحربية والمدنية. وكذلك التجارة سواء بين الأسواق الداخلية أم الخارجية.

---

1 - فريدة قاسي، الدولة في فكر الأمير عبد القادر. المرجع السابق. ص. 111. نقلا عن:

Roche (L.), Trente deux ans à travers l'Islam, t. 1, P-P. 160-161

وبفضل هذه الاستراتيجية ببناء المدن والحصون تمكن الأمير من الصمود بقوة 30000 محارب فقط بين نظامي وغير نظامي أمام قوة فرنسا ذات العدد 106000 محارب.

مثلما سبق القول أنه بعد تأسيس أركان الدولة شرع الأمير عبد القادر في بناء المدن والحصون خلال فترة زمنية دامت أربع سنوات في المقاطعات الثمانية التي تشكلت بالتسلسل وعلى النحو الآتي:

مقاطعة تلمسان/تلمسان. ومقاطعة معسكر/معسكر. ومقاطعة مليانة/مليانة. ومقاطعة التيطري/المدية. ومقاطعة مجانة/سطيف. ومقاطعة الزيبان/بسكرة. ومقاطعة الجبال/برج حمزة. ومقاطعة الصحراء جهة الغرب/الأغواط[1] من دون أن تكون لهذه المقاطعات

---

1 - لمزيد من التفصيل يراجع:

* محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، دار اليقظة العربية، بيروت 1964، ص-ص. 306-311. وقد عين الأمير عبد القادر على هذه المقاطعة قدور بن عبد الباقي من الأغواط الذي استشهد في معركة سيدي يوسف. يراجع: مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق محمد الصغير بناني وآخرين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1995، ص. 170.

* أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، ج.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص-ص. 46-52

حدود ثابتة[1]. وبداخل هذه المقاطعات كانت أهم المدن والتحصينات التي تم بناؤها هي:

* **معسكر**: وتعد من المدن العريقة التي وصفت في القرن السادس عشر على أنها من المدن الهامة[2] بسوقها وبمددها للأمراء. وبسهول غريس. مثلما كانت إشعاع علم بعلمائها أمثال: أحمد بن عبد القادر بن علي الراشدي الحسني الإغريسي، وأبو راس المعسكري وأحمد بن أحمد المعسكري[3]. والحاج مصطفى الغريسي[4].

1 – من الصعوبة الحديث عن الحدود في هذا التاريخ إنما يمكن الحديث عن التخوم. للمزيد من المعلومات يراجع ما كتبناه في أطروحة دكتوراه الدولة بعنوان: السياسة الفرنسية في الشرق الجزائري (1830-1858)، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة 1999 الفصل الأول.

2-Jean (L. l'Africain), Description de l'Afrique, tr. de l'Italien par Epaulard (A.), Maisonneuve, Paris 6, 1956, p. 338.

وعموما كانت منطقة معسكر هامة بجانب المناطق الأخرى أمثال تدرومة ومازونة. وقد حظيت بدراسات علمية منها التي قدمها

Djilali (S.), Les villes précoloniales de l'Algérie occidentale, S. N. E. D. Algérie 1978.

3 – يراجع: عادل نويهض، أعلام الجزائر. ص. 306.

4 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985. ص. 520.

وتمكن الأمير عبد القادر من تحصينها وجعل لها مرفأ هو أرزيو. وتمكن الفرنسيون من احتلالها نهائيا أواخر شهر ماي عام 1841 بقوة 6 آلاف محارب.

وصف سانت آرنو مدينة معسكر عام 1841 بقوله: يعتبر احتلال معسكر أكثر أهمية من احتلال تاقدامت. لأن معسكر تعد المعقل لقوة الأمير، فهي مدينته الناشئة. إنها مدينة جميلة زادها مسجدها جمالا، فهي مدينة تشبه شرشال وعنابة ومستغانم. بل هي أكثر إستراتيجية، تحيط بها بساتين جميلة ذات الأشجار المثمرة والخضر من كل نوع. وأنه في حالة ما إذا تمكنا من احتلال معسكر نهائيا فإنها ستعلن القبائل خضوعها لنا. ستكون قسنطينة الغرب. وأن كلا من معسكر ومستغانم ووهران تشكل رؤوس مثلث، بواسطتها يمكن أن نخضع كل البلاد[1]. وهذا ممكن جدا خاصة بعد أن تمكنا من تحطيم أهم المدن مثل بوغار وتاقدامت ومعسكر وهي المدن التي كانت تمثل قوة الأمير.

***تلمسان**: وهي مدينة رومانية. اهتم بها الأمير وجعلها مدينته الثانية وربطها بمرفأ رشكون. وبذل جهدا كبيرا لتكون مدينة مدافعة ضد الفرنسيين لكن الفرنسيين تمكنوا من احتلالها.

1 -وهي نفس الاستراتيجية التي طبقتها فرنسا في كل من الوسط والشرق الجزائريين. إذ احتلت الجزائر. العاصمة ثم وهران وأخضعت التيطري. وفي الشرق استولت على كل من عنابة وقسنطينة وبجاية.

* تاقدامت وهي مدينة تاريخية تبعد عن تيهرت العتيقة بـ20 كلم[1]. وعن وهران جنوبا بـ 90 كلم. شرع الأمير في ترميمها وتوسيعها عام 1836 واتخذها الأمير عاصمة له إلى عام 1838. ووصفها سانت آرنو حين دخلها يوم 20 ماي 1841 بقوله: بها أكثر من 600 منزلا مبنية بالحجر والخشب. يتوسطها منزل واسع مربع الشكل ومخصص لإقامة الأمير عبد القادر. وبالمدينة دكاكين وسجن ومعمل لسك النقود ومصنع كبير يتواجد على النهر وأكثر من ورشة معدة لكل أنواع المصنوعات ومن غير هذا تعد ضواحي المدينة صحراء مهجورة. وبعد احتلال المدينة سرنا في الشارع الكبير ووصلنا دار القاضي[2].

وجاء في كتاب أديب حرب أن الفرنسيين عندما دخلوا مدينة تاقدامت: "وتوزعوا بين منازلها المهدمة... فأمر (بيجو) بهدم ما كان صالحا للاستعمال منها كمصنع الأسلحة والمنشرة وبعض المخازن"[3]. في حين ذكر سانت آرنو[1] أن العرب أشعلوا النار في

1 - موقع تيهرت ليس هو موقع تيارت الآن.

2 -يراجع ما كتبناه بعنوان: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مطبوعات جامعة منتوري –قسنطينة 1999، ص–ص. 68-71.

3 -أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، ج.2، ص. 402.

المنازل المبنية بالخشب ودمروا التي بالحجر. مثلما حطموا المصنع وفجروا الحصن. والراجح أن المدينة دمرت قبل وصول الفرنسيين إليها. لأنه لا يعقل أن يتركها الأمير عامرة وبها أكثر من ورشة صناعية[2]. وقد أكّد هذا الأمير نفسه في مذكراته "فهدمناها وحرقناها قبل وصوله إليها"[3].

وكان هدف الأمير من بناء هذه المدينة واضحا فيما أورده تشرشل بالقول: "ثم استأنف (الأمير) حديثه معي قائلا بحيوية: إنني ما زلت آمل أن أعيد إلى تاقدامت ماضيها المجيد. وأنني سوف أجمع القبائل فيها حيث سنكون في مأمن من هجومات الفرنسيين. وعندما تكون كل قواتي قد اجتمعت فإنني سوف أنزل من هذه الصخرة الشماء، كما ينزل النسر من عشه، لكي أطهر مدن الجزائر وعنابة ووهران من المسيحيين. ولو أنكم راضون حقيقة بهذه المدن لتركتكم تعاون فيها، لأن البحر ليس من شأني، وليس لي سفن، ولكنكم تريدون أيضا الاستيلاء على سهولنا ومدننا الداخلية. بل أنكم طمعتم حتى في خيلنا وخيامنا وابلنا ونسائنا.

1 -ذكر هذا في تاريخ 25 ماي 1841، يراجع ما كتبناه بعنوان: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث. ص. 68.

2 - كانت في دولة الجزائر الأميرية أكثر من ورشة لصناعة المنسوجات وغيرها. ينظر: A. M. G., H228.

3 - مذكرات الأمير عبد القادر، ص.161

أنكم تركتم بلادكم الخاصة وأتيتم لتأخذوا الأرض التي وضع فيها محمد (عليه الصلاة والسلام) شعبه. ولكن سلطانكم ليس فارسا ولا مرابطا، وإن خيولكم ستعثر وتسقط عن جبالنا لأنها ليست ثابتة الأقدام كخيولنا، وإن جنودكم سيموتون مرضا، وحتى أولئك الذين سينجون من المرض سيسقطون برصاصنا"[1].

* **مليانة** وهي المدينة الثالثة التي جعلها الأمير مركز المقاطعة وجعل لها مدينة شرشال مرفأ لتطلّ به على البحر.
* **المدية** وجعلها مركز مقاطعة التيطري، ثم هجرها الأمير عبد القادر ودخلها الفرنسيون فوجدوها "مهجورة ونصف محروقة"[2].
* **بوغار** بناها الأمير كحصن لصناعة بعض المواد الحربية والتجارية الهامة لتكون قاعدة لحماية ظهر مدينة المدية.
* **سعيدة** وكانت مستودعا للحبوب وملجأ للمهاجرين من تلمسان ومعسكر.
* **سبدو** جنوب تلمسان بحوالي 35 كلم. وهي أحد مراكز الدعم من أعماق الجزائر للأمير.

---

1 - هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ص-ص. 138-139

2 - هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ص. 189

* **تازة** أو طازة بناها الأمير عام 1838. ويتشكل مجموع سكانها من حوالي 50 عائلة. وكان يصنع بها البارود. وسقطت بيد الفرنسيين عام 1840
* **برج حمزة** وهي في جبال الوسط. وقد كانت دعما كبيرا للأمير عبد القادر في حروبه ضد الذين رفضوا البيعة وضد الفرنسيين.
* **مازونة** وهي من المدن التي اهتم بها الأمير عبد القادر
* **بسكرة** وهي مدينة قديمة كانت بيد خليفة الأمير وسقطت بيد الفرنسيين عام 1844
* **الأغواط** وهي المدينة التي أدت الدور الكبير لصالح الأمير عبد القادر في غرب الصحراء.

4 - استراتيجية ومعارك الأمير عبد القادر

من الأسس التي قامت عليها استراتيجية الأمير عبد القادر تأسيسه لجيش نظامي. إذ فتح باب التجنيد والانخراط فيه بحرية من دون إكراه. حيث وظف وسائل الدعاية لإقبال الناس على التزام الخدمة العسكرية في هذا القطاع بأن كلف من ينادي في الأسواق بالقول: "ليبلغ الشاهد الغائب: أنه صدر أمر من ملانا ناصر الدين بتجنيد الأجناد. وتنظيم العساكر من كافة البلاد. فمن أراد الدخول تحت اللواء المحمدي ويشمله عز النظام فليسارع إلى دار

الإمارة (معسكر) لتقييد اسمه في الدفاتر الأميرية"[1]. وقد أقبل الناس طواعية برغبة صادقة في الجهاد لتحرير البلاد وحبا في الأمير عبد القادر.

وأخضع هؤلاء المجندون إلى نظام عسكري وإلى تدريب صارم على أيدي جزائريين وأجانب. وحسب ما أورده يحي بوعزيز كان الأمير عام 1840 يتصرف في جيش قوامه 58960 ثمانية وخمسون ألف وتسعمائة وستون جنديا، منهم خمسة آلاف وستون جندي فقط من الفرق المنظمة[2]. وكانت هذه الفرق مقسمة إلى ثلاثة صفوف هي:

الخيالة

المشاة

والمدفعية[3]

وبالرغم من بناء هذه المدن بقي الأمير ومن معه يحاربون الفرنسيين خارج المدينة وبخاصة في المضايق والمسالك الريفية، من

---

1 - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ص. 191

2 - Marcel Emerit: L'Algérie à l'Epoque d'Abdelkader. (Larose.1951). p-p. 277-280.

3 - لمزيد من التفصيل يراجع: فريدة قاسي، الدولة في فكر الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص-ص. 217- 234

ذلك أن من بين حوالي 30 معركة خاضها كانت 5 منها فقط في المدن والباقي كان خارج المدن مثلما هو موضح في الآتي:

1. معركة خنق النطاح الأولى قرب مدينة وهران في ماي 1832.
2. معركة خنق النطاح الثانية.
3. معركة برج رأس العين غرب وهران.
4. معركة قرية فليتة المتمردة.
5. معركة وهران الأولى.
6. معركة واصل ناحية تلمسان.
7. معركة مستغانم ضد الدوائر والزمالة.
8. معركة المقطع 1836
9. معركة تلمسان الأولى في جانفي 1837.
10. معركة سكاك في جويلية 1837 بالقرب من تلمسان.
11. معركة الغزوات بضواحي نهر الشلف بالمدية ضد محمد بن عبد الله البغدادي.
12. معركة عين ماضي ضد محمد التيجاني.
13. معركة موزاية قرب المدية.
14. معركة مليانة.
15. معركة ضد بيجو بضواحي مليانة.
16. معركة مضيق عقبة خدة.
17. معركة عين طاقين.

18. معركة الجعافرة جرت بضواحي معسكر.
19. معركة سيدي يوسف.
20. معركة بني عامر الثانية.
21. معركة الغزوات الثانية.
22. معركة هونت بين معسكر وتاقدامت
23. معركة أبي الشطوط في ضواحي الشلف.
24. معركة نهر يسر بضواحي الجزائر.
25. معركة تافريست ببلاد المغرب الأقصى.
26. معركة بني عامر الثالثة جرت بضواحي فاس.
27. معركة سلوان ببلاد المغرب ضد جيش السلطان المغربي.

بجانب المعارك الأخرى التي خاضها خلفاؤه مثل معارك خليفته على بسكرة.

وفيما يتعلق بالاستراتيجية فمن المتعارَف عليه أنها كلمة يونانية (Stretegos) وتعني فن قيادة الجيوش. وكانت تسمى في عهد الأمير بالسوقية، وهو تعبير عسكري يقصد به مجموعة الترتيبات والتدابير الواجب اتخاذها والتقيد بها بغية سوق الجيش إلى أمام العدو. والسؤال المطروح هو ما هي الترتيبات والتدابير التي اتخذها الأمير عبد القادر في معاركه؟

قامت استراتيجية الأمير عبد القادر الحربية على ثلاث قوى هي:

- جيش نظامي جزائري خفيف
- مدن دفاعية محصنة
- قبائل موالية له

وبالمقابل قامت استراتيجية العدو على ثلاثة صفوف هي:

- جيش فرنسي نظامي ثقيل تحصن في مدن دفاعية وهجومية
- قبائل جزائرية مالت إلى السلطة الفرنسية
- قبائل ثائرة ضد الأمير من دون أن تميل للجيش الفرنسي

ثالثا: كان الأمير يعمل بما قال به الله تعالى: "**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**"[1]. أو بما قال في كتابه العزيز الحكيم: "**يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا**". وكان حريصا على ألاّ يتثاقل في الجهاد خوفا من غضب الله الذي خاطب المتثاقلين بقوله تبارك وتعالى: "**يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله إثاقلتم إلى الأرض**"[2]. وكان الأمير عبد القادر لا يخوض المعارك إلاّ في أماكن يختارها مسبقا كالمضايق وأعالي المرتفعات. ويركز على المناوشات والمضايقات والهجمات الخاطفة. ويشرك القبائل الموالية له في محاصرة مدن العدو ومضايقته بقطع المؤونة عنه.

1 - سورة التوبة، آية 41

2 - سورة التوبة آية 38

وصفوة القول يتبين مما سبق إن الأمير عبد القادر اهتم بالريف وبالمدينة لبناء دولة الجزائر برغم أنه ريفي المولد والنشأة. وأنه بمثل ما انطلق من القرية بالريف انتهى به الأمر إلـى الريـف وحـتى عاصمته أي المدينة المتنقلة والمتمثلة في ازمالة استمرت تنتقل مـن ريف إلى آخر.



من السياسة الفرنسية في الجزائر

(المعاهدات)

من السياسة الفرنسية في الجزائر

(المعاهدات)

مقدمة

هدفي من تقديم هذا الموضوع هو التعرف عن جانب من السياسة الفرنسية في الجزائر والمتمثل في تأسيس علاقات مع الشرائح الاجتماعية الجزائرية. مثلما يعد هذا الموضوع تكملة لما نشرته حول معاهدة الزمالة والدوائر ومعاهدة بجاية[1]. حيث استجدت عندي معلومات من خلال البحث والإشراف على موضوعات بعض الطلبة[2].

مع العلم أن عشرات المعاهدات والاتفاقات تمت بين الجزائر وفرنسا منذ عام 1619 مثل معاهدة الصلح والامتياز التجاري إلى غاية عام 1824.

أما المعاهدات الاتفاقات التي تمت بين رجال السلطة الفرنسية والجزائريين فهي تختلف عما سبقها. وعلى هذا الأساس

---

1 - يراجع مجلة الثقافة ، العدد 88، وزارة الثقافة، سبتمبر 1985.ص — ص.123 — 136. والعدد 100 وزارة الثقافة، الجزائر، 1988ص — ص.73 — 81.

2 - مثل موضوع المذكرة التي قدمتها الطالبة شين حياة بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية عام 2000

فضلنا أن يكون عرض هذا الموضوع من خلال النقاط الآتية:

1- مفهوم المعاهدة

2- معاهدة الداي حسين-دي بورمون 1830

3- مشروع المعاهدات مع الحاج أحمد باي

4- معاهدة دميشيل 1834

5- معاهدة بجاية 1835

6- معاهدة الدوائر والزمالة 16 جوان 1835

7- معاهدة التافنة 1837

8- عهد توقيف القتال 1847 و1848

8- معاهدة بني ميزاب 1853

9- معاهدة التوارق 1862

1- مفهوم المعاهدة

لكلمة معاهدة أكثر من معنى ومفهوم، ويمكن توضيحها من خلال النقاط الآتية:

1 – لغة

2 – اصطلاحا

3 – شكلا

4 – موضوعا

1-1 – المعاهدة لغة:

المعاهدة: (عهد) يكاد يتفق الدارسون على أنها اتفاق مدوّن بين حكومتين أو دولتين على قضايا تتعلق بالسياسة أو التجارة أو سواهما[1].

1- المزيد من المعلومات يراجع: المنجد الأبجدي، الصادر عن دار المشرق، ط5، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990. وكذلك: راتب أحمد قبيعة وآخرون، الأراء، القاموس العربي الشامل، ط. 1، دار الراتب الجامعية، بيروت 1997، ص. 549.

1-2 – المعاهد اصطلاحا:

المعاهدة في الاصطلاح السياسي هي اتفاقية تبرم بين دولتين أو أكثر، وتتم بالتراضي، وتترتب عنها علاقات قانونية معينة بين أطراف الاتفاقية، وفي أكثر الحالات يغلب عليها الطابع الدبلوماسي. فالمعاهدة بهذا المعنى وثيقة رسمية دولية. إذ يشترط في أطراف المعاهدة أن تكون تمثل دولا لها شخصية قانونية؛ أو منظمات دولية معترف بها[1].

فالمعاهدة هي اتفاق بين أطراف دوليين، أي، أطراف لهم أهلية إبرام المعاهدات. وتمس العلاقات التي يحكمها القانون الدولي. وتترتب عنها حقوق والتزامات قانونية.

ويطلق لفظ **معاهدة** في معناه الخاص على الاتفاقيات الدولية ذات الصبغة السياسية، كمعاهدة الصداقة والتحالف. ولفظ **اتفاقية** على الاتفاقيات المتعددة الأطراف التي تنظم التعاون الفني بين الدول. ويطلق لفظ **اتفاق** على المعاهدات الثنائية ذات الصبغة الفنية. ويطلق لفظ **تصريح** على الاتفاقيات التي يكون موضوعها تأكيد مبادئ قانونية أو سياسية مشتركة. ويطلق لفظ

1- أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ط. 3 دار النهضة العربية، القاهرة 1968، ص. 1187

ميثاق على الاتفاقيات الدولية ذات الطابع الدستوري التنظيمي؛ كميثاق الأمم المتحدة. ويطلق لفظ **بروتوكول** على الاتفاق التكميلي ويطلق أحيانا على المحاضر الرسمية لمؤتمر دولي. ويطلق لفظ **تسوية مؤقتة** على الاتفاق الذي له طابع مؤقت[1].

وتعد المعاهدات المصدرَ المباشر الأول لإنشاء قواعد قانونية دولية. فالدول عندما تتراضى فيما بينها تقبل على إنشاء معاهدة معينة تقوم بالوظيفة عينها التي يقوم بها المشرع داخل الدولة[2].

وتعقد المعاهدة بين دولتين أو أكثر. ولهذا كان ما يسمى بالمعاهدة الجماعية (traité collectif) وبالمعاهدة الثنائية (traité Bilatéral)[3]. والقوة الإلزامية للمعاهدة في الحالتين مرهونة بالأطراف المعنية من دون غيرهم.

ودخول المعاهدات في دور التنفيذ وانقضائها يخضع خضوعا تاما لإرادة أطرافها. وكذلك الأمر في كل ما يتعلق بما يريد من أحكام. وليس للمعاهدات موضوع معين فقد تتناول

1- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد 2، دار الجيل 1995، ص. 1716

2- حامد سلطان: القانون الدولي العام في وقت السلم ط.6 دار النهضة العربية القاهرة 1976، ص 34.

3 – محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد 2 ص.1716.

المعاهدة بالتنظيم موضوعا قانونيا فقط، فتكون عندئذ معاهدة شارعة (Traités lois) تمييزا لها عن المعاهدات الخاصة التي هي في حكم العقود بين أصحاب الشأن (Traités contrats). وقد تتناول بالتنظيم مسائل سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو تجارية أو غير ذلك من المسائل، كما قد تتناول بالتنظيم خليطا من هذه المسائل[1].

1-3- المعاهدة شكلا:

تكون المعاهدات من حيث الشكل هي الاتفاق الذي يتم بين أشخاص قانونيين دوليين، ويتميز بأنه:

أولا: لا يعقد إلا بعد مفاوضات.

ثانيا: يتطلب توقيع الأطراف المتعاقدة عليه.

ثالثا: ولا يصبح نافذا في دائرة القانون الدولي إلا بعد التصديق عليه[2].

2- **تحرير المعادات** يتم التوقيع على المعاهدات المكتوبة بعد التوصل إلى اتفاق بين الطرفين المفاوضين. وتكون محررة عادة

2 – حامد سلطان، المرجع السابق، ص 158.

في ثلاثة أقسام هي: الديباجة وتحديد الأطراف المعنية والأحكام التي هي موضوع الاتفاقية[1].

3-التصديق على المعاهدات من الناحية القانونية؛ لا بد من التصديق على المعاهدات من أعلى هيئة لكلا الطرفين لكسب الالتزام والإلزام.

4- تسجيل المعاهدات أمر قانوني مفروض على كل طرف يرضى ويوقع على معاهدة، وذلك لتحقيق غرضين الأول لمنع الاتفاقيات السرية التي قد تتضرر منها أطراف أخرى والثاني هو توثيق المعاهدات للرجوع إليها عند الحاجة[2]. ويحرر في الوقت الحالي كل اتفاق بالأمانة العامة للأمم المتحدة بخمس لغات.

5- المعاهدة موضوعا:

وتكون شروط المعاهدات من حيث الموضوع:

أولا: تكون صحة عقد المعاهدة ممكنا مشروعا، وأن يكون الرضا بأحكامها صحيحا غير معيب.

1 - لمزيد من المعلومات يراجع حامد سلطان، المرجع السابق، ص-ص. 161-162.
2 - علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، ط. 11، منشأة الناشر للمعارف، الأسكندرية، 1975، ص. 553.

ثانيا: وهو صحة الرضا وخلوه من العيوب، ومن المعلوم أن عيوب الرضا هي الغلط والتدليس والغبن والإكراه، وهي عيوب تفسد الرضا متى توافرت شرائطها التي بينها القانون الخاص[1]

ثالثا: الإلزام والالتزام بتوفر الشروط القانونية يصير كل طرف ملزما وملتزما بمحتوى بنود المعاهدة أي عليه التنفيذ الكلي للبنود من دون نقص إلى آخر يوم من عمر المعاهدة.

بعد هذا العرض المختصر يمكن طرح السؤال الآتي: ما موقع "المعاهدات" التي أبرمتها فرنسا مع بعض الأطراف الجزائرية؟.

للإجابة على هذا السؤال علينا عرض أهم "المعاهدات" التي تمت في الجزائر خلال فترة التوسع الاستعماري الفرنسي.

من المتعارف علية أن معاهدات كثيرة تمت بين الجزائر وفرنسا منذ القرن السادس عشر منها التي وقعت بين خير الدين وفرانسوا الأول عام 1532. إلى درجة يمكن الحديث عن ست

1 - حامد سلطان، ص-ص. 174 - 175.

ومتون معاهدة[1]، مما يدل على أن للجزائر هيبة دولية آنذاك واستمرت عام 1830[2]. حيث تم احتلال الجزائر العاصمة بداية من توقيع المعاهدة بين الداي حسين والقائد العام دي بورمون.

1 - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص. 13.

2 - لمزيد من المعلومات عن هذه الهيبة يراجع: مولود قاسم نايت بالقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل عام 1830، ج.2 ط.1 دار البعث، قسنطينة- الجزائر 1985.

I - معاهدة التوقف عن المقاومة 1830

فبعد أن تأكد للداي حسين وأعيان مدينة الجزائر عدم الجدوى من الصمود أمام جيش الاحتلال الفرنسي الاتفاق مع قائد الحملة بعقد معاهدة تسليم المدينة مقابل حمايتها من النهب، وحماية الأهالي ودينهم وممتلكاتهم. على قناعة في أن أمة شريفة مثل فرنسا لا يمكن أن تنكث العهد. وفتح الباب للتفاوض؛ حيث أرسل الداي حسين يوم4 يوليو1830 وفدا برئاسة كاتبه مصطفى مصحوبا بالقنصل الإنكليزي إلى مقر القيادة الفرنسية للتفاوض الذي انتهى بعقد معاهدة يوم 5 جويلية 1830 بهذا المحتوى:

المادة الأولى: تسلم قلعة القصبة وكل القلاع الأخرى المتصلة بالمدينة وميناء هذه المدينة إلى الجيش الفرنسي هذا الصباح على الساعة العاشرة.

المادة الثانية: يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي أمام سعادة باشا الجزائر أن يترك له الحرية وكل ثرواته الشخصية.

المادة الثالثة: سيكون الباشا حرا في أن يذهب هو وأسرته وثروته الخاصة إلى المكان الذي يقع عليه الخيار، فإذا فضل البقاء في الجزائر فله ذلك هو وأسرته تحت حماية القائد العام للجيش الفرنسي وسيعين له حرسا لضمان أمنه الشخصي وأمن أسرته.

المادة الرابعة: يتعهد القائد العام لكل الجنود الانكشاريين بنفس المعاملة وبنفس الحماية.

المادة الخامسة: سيظل العمل بالدين الإسلامي حرا، كما أن حرية السكان مهما كانت طبقتهم، ودينهم، وأملاكهم، وتجارتهم، وصناعتهم لن يلحقها أي ضرر وستكون نساؤهم محل احترام.

وقد التزام القائد العام بذلك وتعهد بشرفه على أن يتم تبادل وثائق هذا الاتفاق قبل الساعة العاشرة هذا الصباح وسيدخل الجيش الفرنسي حالا بعد ذلك إلى القصبة ثم يدخل كل القلاع التي حول المدينة كما يدخل الميناء.

توقيع:

الكونت دي بورمون

ختم حسين باشا، داى الجزائر[1]

1 - يراجع أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، 46. وكذلك:
Hamdan (B. O. K.) , Le Miroir , traduit de l'Arabe par H.D., Goetschy, Paris 1833, p-p. 195-196

Convention entre le Général en chef de l'armée française et son Altesse le dey d'alger.

Le fort de la Casauba, tous les autres forts qui dépendent d'Alger, et le port de cette ville, seront remis aux troupes françaises ce main , à dix heures (heure française).

Le général en chef de l'armée française s'engage envers son altesse le dey d'Alger à lui laisser sa liberté et la possession de toutes ses richesses personnelles.

Le dey sera libre de se retirer avec toute sa famille et ses richesses particuliers dans le lieu qu'il fixera; et, tant qui,il restera à Alger, il y sera, lui et sa famille, sous la protection du général en chef de l'armée française. Une garde garantira la sûreté de sa personne et celle de sa famille.

Le Général en chef assure à tous les soldats de la milice les même avantages et la même protection.

L'exercice de la religion mahométane restera libre. La liberté des habitants de toutes les classes, leur religion, leurs propriétés, leur commerce et leur industrie, ne recevront aucune atteinte. Leurs femmes seront respectées.

Le général en chef en prend l'engagement sur l'honneur.

L'échange de cette convention sera fait avant dix heures, ce matin, et les troupes françaises entreront aussitôt après dans la Casba, et successivement dans tous les forts de la ville et la marine.

Au camp devant Alger, le 5 juillet 1830.

Hussein – Pacha. Cte De Bourmont[1]

[1] - COLLECTION des Actes du gouvernement depuis l'Occupation d'Alger Jusqu'au 1er octobre, imprimerie Royale, Paris 1843, p- 1-2.

نصت هذه المعاهدة في إحدى موادها على أن يغادر حسين باشا القطر الجزائري إلى جهة أخرى يختارها بنفسه، وبعد تردد الباشا اختار مالطة ولكن يبدو أن العلاقات مع الإنكليز جعلته يغيرها إلى ليفورن ولا ندري لماذا عاد فاختار نابولي بديلا عنها، من دون أن يختار اسطانبول؟ قد يكون لخوفه من معاقبة السلطان له على ضياع الجزائر.

وبعد خروج حسين باشا طرد الإنكشاريون، وكان منهم من له أسرة. وقد تنافى هذا مع المادة الرابعة من المعاهدة.

وراح الفرنسيون يبحثون عن زعماء جزائريين يتعاونون معهم لتنفيذ سياستهم التوسعية.

تكون هذه المعاهدة قانونية بحكم أنها من شخصين قانونيين دوليين، أي أنها من ند للند.

2 – من علاقات الحاج أحمد باي برجال الاحتلال الفرنسي

2 - 1 – مشروع معاهدة 1830-1832

بعد أن تمكنت الحملة الفرنسية من تحقيق هدفها باحتلال الجزائر العاصمة اتصل دي بورمون بالحاج أحمد باي وطلب منه الخضوع لفرنسا؛ لكنه رفض، ثم اتصل به كل من كلوزال دو روفيكو وعرض عليه نفس الطلب لكن الحاج أحمد باي رفض. وكان يمكن من مشاريع هؤلاء القادة الفرنسيين عقد اتفاق بينه وبين السلطة الفرنسية؛ لكن الأمر لم يتم. وأهم مشروع اتفاقية حمله حمدان خوجة إثر رحلتين من الجزائر إلى قسنطينة.

وأهم ما اقترحته السلطة الفرنسية في هذا المشروع لعقد هذه الاتفاقية هو الخضوع المطلق للسلطة الفرنسية. ومن مظاهر هذا الخضوع التزامه بدفع ثلاثة ملايين فرنك ضريبة حرب. ودفع اللازمة السنوية مقابل أن تعترف فرنسا به بايا على إقليم قسنطينة[1].

---

1 – لمزيد من المعلومات يراجع ما كتبناه في كل من:

- دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827 – 1840)، دار البعث، قسنطينة، 1987.
- وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عام 1832، المكتبة الجامعية، غريان ليبيا 2003

2 - 2 - مشروع المعاهدة بين الحاج أحمد باي والكونت فالي 1837

نتيجة لاستمرار الحروب بين الحاج أحمد باي والفرنسيين إلى غاية 1837 فكر المارشال فالي في فتح باب التفاوض مع الحاج أحمد باي قصد التوصل إلى عقد اتفاق يقي الطرفين ويل الحروب، فاتصل بالحاج أحمد باي خاصة بعد أن أبدى هذا الأخير ميلا للسلم. ذكر الحاج أحمد باي في مذكراته أن القائد الفرنسي طلب منه الاستسلام قائلا له: تعالوا اطلبوا الأمان واستسلموا سريا سنبعثكم إلى فرنسا[1]. ولم يكتف هذا القائد فأرسل بمسودة مشروع للحاج أحمد هذا نصها:

المادة الأولى: يعترف الحاج أحمد باي قسنطينة بسيادة فرنسا، وسلطانها عليه.

المادة الثانية: تعطي فرنسا إلى الحاج أحمد باي لقب باشا وهو لقب شخصي.

المادة الثالثة: يدفع أحمد باشا لفرنسا غرامة سنوية قدرها مائة ألف فرنك.

1 - مذكرات الحاج أحمد باي، ترجمة العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1973، ص. 79

المادة الرابعة: يدير أحمد باشا من مقاطعة قسنطينة الجزء الواقع جنوب خط ينطلق من القالة ويمر بقالمة ومجاز عمار إلى حدود ستورا (سكيكدة). على أن تحتفظ فرنسا بمنطقتي ستورا والقالة، بجيجل والقل وبجميع الموانيء الواقعة على الساحل.

المادة الخامسة: يلتزم أحمد باشا بألا يتنازل لأية دولة أجنبية، مهما كانت الأسباب، عن أية قطعة من المنطقة التي يديرها. كما أنه لا يستطيع السماح لأية أمة أجنبية أن تقيم، ولو مؤقتا، في أحد موانئ هذه المنطقة.

المادة السادسة: تكون التجارة حرة بين فرنسا والأهالي وفقا للتعارف ولأنظمة الجمارك الجاري بها العمل في البلدين. ويلتزم أحمد باشا بالا يتاجر إلا مع عنابة وغيرها من موانئ الإيالة التي يحتلها الفرنسيون. وابتداء من الآن، فان القوافل القادمة من داخل إفريقية والتي تتوجه في الوقت الحاضر إلى تونس يجب أن تتغير وجهتها إلى عنابة أو إلى أي مكان آخر تحتله فرنسا وتعينه بنفسها.

المادة السابعة: إن الأسلحة والبارود، وما إلى ذلك من الذخائر الحربية التي يشتريها أحمد باشا يجب أن توجد من مصانع فرنسا

المادة الثامنة: يستطيع الفرنسيون والأوروبيون الذين يحملون رخصة من فرنسا، أن يتنقلوا بحرية، وأن يتمتعوا بحق الإقامة في المقاطعة التي يديرها الباشا. كما أن الأملاك التي يحرزون عليها تكون مضمونة، وتكون لهم فيها حرية التصرف. ويلتزم الباشا بتعويض الخسائر التي قد يتسبب لهم فيها سكان المقاطعة التي يديرها وبالمقابل، فإن الأهالي يتمتعون بحق الإقامة في الأجزاء التي تديرها فرنسا إدارة مباشرة.

المادة التاسعة: تتعلق بأمور علمية.

المادة العاشرة: يجب على كل طرف أن يرجع المجرمين إلى الطرف الآخر.

المادة الحادية عشر: لفرنسا حق اعتماد وكيل لدى أحمد، وللباشا حق اعتماد وكيل لدى الجزائر.

المادة الثانية عشر: لا قيمة لهذه الاتفاقية إلا بعد أن يصادق عليها الملك، وإلى ذلك الحين، فإن فرنسا تحتفظ بحامية في قسنطينة.

المادة الثالثة عشر: تسلم فرنسا إلى أحمد باشا حصن قسنطينة بمدافعه، وبارود وذخائره الحربية والغذائية على الوضع

الذي يكون عليه عندما تتم المصادقة على هذه الاتفاقية.

المادة الرابعة عشر: يلتزم أحمد باشا بأن يدفع لفرنسا مبلغ 600.000 فرنك كتعويض لمصاريف الحرب.

فيما يخص معاهدة أو مشروع هذه المعاهدات مع الحاج أحمد باي، فيمكن القول إن الطرف الجزائري شخص قانوني وهو خليفة داي الجزائر. وكذا الطرف الفرنسي الذي يتمثل في شخص الماريشال فالي الذي يمثل السلطة الفرنسية.

لكن المعاهدة لم تتم لأن المارشال فالي تلقى رفض الحاج أحمد باي الأمر الذي دفع هذا المارشال إلى كسب فرحات بن السعيد العدو القديم للحاج أحمد باي لضرب الجزائريين بعضهم ببعض وهو ما تم فعلا[1].

وتبدو عدم سلامة المشروع من التزيد والتدليس قد يكون سببه اليهودي بوجناح الذي لعب دورا كبيرا في المفاوضات بين السلطات الفرنسية والحاج أحمد باي.

1 - لمعرفة موقف فرحات بن سعيد ومراسلاته من الجنوب الجزائري للقائد الفرنسي ضد الحاج أحمد باي يراجع ما كتبناه في: من تاريخ الجزائر الحديث، مطبوعات جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة، 2000 قسم الملاحق.

3 – معاهدة دميشيل 1834

انتصر الجزائريون بقيادة الأمير عبد القادر مرات كثيرة على قوة الاستعمار[1] الأمر الذي فرض على رجال السلطة العسكرية الفرنسية فتح باب التفاوض مع الأمير عبد القادر الذي انتهى بعقد معاهدة عرفت بمعاهدة دميشيل عام 1834. وهذا نصها:

المادة الأولى: من اليوم وصاعدا يبطل الطراد بين الفرنصيص والعرب. الجنرال حاكم جيوش الفرنصيص وأمير المؤمنين عبد القادر كل واحد من ناحيته يعمل جهده إلى تحصيل المودة والعهد الذي يلزم أن تكون بين شعبين اللذين مقدر عليهم من عند الله أن يعيشوا تحت حكم واحد، ولأجل هذا أمير المؤمنين لازم يرسل من عنده ثلاثة قناصل واحد لوهران واحد لارزيو وواحد لمستغانم والجنرال كذلك يرسل من عند قناصل المعسكر بيش ما يكون النزاع بين الفرنصيص والعرب.

المادة الثانية: الدين وعوا يد المسلمين يكونوا دائما محرومين ومحامي عليهم.

1 - لمعرفة المعارك التي خاضها الأمير عبد القادر ضد الفرنسيين يراجع في هذا الكتاب موضوع: مبايعة الأمير عبد القادر.

المادة الثالثة: مرابيط الفرنصيص يتسرحوا حالا وكذلك مرابيط العرب.

المادة الرابعة: التسوق يكون مسرح ولا أحد يعارض أحد.

المادة الخامسة: كل العسكر الذين يهربوا من الفرنصيص يستحق العرب أن يردهم لعند الفرنصيص وكذلك العرب الذين يهربوا من عند العرب باش يتعاقبوا على فالطة عملوها ولجأوا عند الفرنصيص حالا يسلموهم إلى قنصل الأمير إن كان في وهران أو أرزيو أو مستغانم.

المادة السادسة: كل واحد رومي يحب يسافر في بلاد يكون معه تذكرة مطبوعة بطابع قنصل الأمير وكذلك بطابع الجنرال حاكم البلاد. حتى الذي تكون معه هذه التذكرة يحترموه ويحاموا عليه في كل البلاد.

بأمر المعظم الأرفع مولانا أمير المؤمنين السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين آمين[1].

إذن جاءت معاهدة دميشيل سنة 1834 بعد الانتصارات التي أحرزها الأمير عبد القادر ضد العدو. حيث بدأ الاتصال بين

1 - عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص-ص. 74-75.

الطرفين بالرسائل ثم بالتفاوض الذي أداره ممثل الطرف الجزائري في شخص كل من مولود بن عراش وولد محمود، وممثل الطرف الفرنسي في في شخص اليهوديين مردخاي عمر وبوشناق.

والمميز في هذه المعاهدة أنها لم تعرف جلسات للتفاوض وإنما الذي حدث هو أن كل طرف تقدم بوثيقة مكتوبة تضمنت الشروط وبعدها جمعت في وثيقة واحدة. ولهذا حدث خلل في بنود هذه المعاهدة لأن نص المعاهدة التي وقعت في 26 فبراير تختلف عن نصوص الوثيقتين اللتين تم تبادلهما بين طرفين وخصوصا مع الوثيقة التي ختمها دميشيل في 4 فبراير.

وهذا الاختلاف هو الذي فرض لبسا حول وجود معاهدتين، ودفع السلطة الفرنسية إلى عزل دميشيل ورفض المعاهدة والدخول من جديد في حرب ضد الأمير.

4 – معاهدة بجاية 1835

لم تتمكن السلطة الفرنسية من احتلال بجاية والبقاء فيها بقوة السلاح رغم هجماتها المتكررة. لكنها تفطنت إلى ضرورة عقد اتفاقية مع أقوى شيوخ المنطقة وهو سعد وليدو رابح، وبالفعل تم التوقيع على هذا الاتفاق، ويمكن تقديم ملخص هذه المعاهدة بما أمكن ترجمته كالآتي[1]:

يتفق كل من العقيد لامورسييه، مدير القوات والمفوض بكل الصلاحيات من الحاكم العام والشيخ سعد وليدورابح على ما يلي:

المادة الأولى: حول دوام السلام بين الفرنسيين والقبائل.

المادة الثانية: حول التزام الطرفين.

المادة الثالثة: تبقى القوات الفرنسية تحتل مدينة بجاية وضواحيها.

المادة الرابعة: حول رغبة فرنسا في فرض الأمن وفي حماية المسلمين، وحماية أملاكهم، وشعائرهم الدينية.

المادة الخامسة: حرية التحول في مدينة بجاية لبيع منتجاتهم الفلاحية.

---

1 -لمزيد من التفصيل لبنود هذه المعاهدة يراجع ما نشرناه بعنوان "التواجد الفرنسي في بجاية " الثقافة، العدد 100 وزارة الثقافة، الجزائر، 1988، ص — ص.73 — 81.

المادة السادسة: حول السماح لتاجر يعينه الشيخ سعد وليدورابح ممثلا له بالسكن في مدينة بجاية لسوية كل القضايا المتعلقة بالتجارة.

المادة السابعة: بإمكان توسيع هذه الاتفاقية لتشمل بقية القبائل الأخرى.

المادة الثامنة: حول ضرورة انضمام الشيخ سعد وليدورابح إلى الصف الفرنسي لمنع القبائل من الثورات. وعلى فرنسا من جهتها الانضمام إلى صف الشيخ ولصالحه.

المادة التاسعة: تكون بنود هذه الاتفاقية سارية المفعول بعد مراجعة وموافقة الحاكم العام.

كتبت على نسختين في بجاية يوم 9 أفريل 1835.

توقيع لامورسييه

وضع الختم سعد وليدورابح

يصادق الحاكم العام على هذه المعاهدة التي تبقى ضرورية بين الطرفين المتعاقدين.

كتبت في الجزائر يوم ( ) أفريل 1835. توقيع الكونت ديرلون، وفي الأسفل ختمه.

عن نسخة طبق الأصل / قائد أركان الحرب العام. توقيع جيرو

هذه المعاهدة لم تخدم إلا المصالح الفرنسية في منطقة شمال قسنطينة، ولعل هذا من الأسباب التي دفعت شيوخ المنطقة إلى عدم العمل بما نصت عليه بنودها، وواصلوا المقاومة في هذه المنطقة ضد الاحتلال الفرنسي. وبناء على هذا يمكن وصف هذه المعاهدة بعهد ولاء نظري من دون أن ينفذ.

5 – معاهدة الدوائر والزمالة 1835

استمالت السلطة الفرنسية قوة محلية وجندتها ضد الدولة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر ونعني بها قبيلتي الدوائر والزمالة ووقعت معها معاهدة يوم 16 جوان 1835 تمت بين الجنرال تريزيل المفوض من طرف الحاكم العام وشيوخ القبيلتين بمخيم سيقيه، وهذا ملخص نصها[1]:

المادة الأولى: حول ولاء هذين القبيلتين للسلطة الفرنسية.

المادة الثانية: حول خضوع هذه القبائل لأوامر القادة المسلمين الذين يعينهم الحاكم العام.

المادة الثالثة: حول دفع القبائل للضريبة السنوية.

المادة الرابعة: حول حرية تنقل الأفراد من كلا الطرفين.

المادة الخامسة: حرية التجارة وشحن البضائع من الموانئ التي يخصصها الحاكم العام الفرنسي[2].

1 - تفاصيل هذه المعاهدة نشرناها بعنوان: "معاهدة الدوائر والزمالة، جوان 1835"، الثقافة ، العدد 88، وزارة الثقافة، سبتمبر 1985.ص ــ ص.123 ــ 136.

2 - من غير المستبعد أن تكون السلطة الفرنسية اشترطت هذا حتى تتمكن من مراقبة البضائع وحتى تتقاضى رسوما ولكي تحاصر نفوذ الأمير عبد القادر.

المادة السادسة: حول ضرورة إشراف السلطات الفرنسية تجارة الأسلحة الخاصة بالأمير.

المادة السابعة: حول إشراك القبائل في وحدات عسكرية أثناء كل حملة

المادة الثامنة: حول رواتب المشاركين من الجزائريين في الحملات العسكرية.

المادة التاسعة: حول شروط وحق هذه القبائل الموالية في إعلان الحرب على القبائل المجاورة لها.

المادة العاشرة: حول تزويد جيش الحملة بما يحتاجه أثناء عبور أراضي هذه القبائل.

المادة الحادية عشرة: حول صلاحية البث في القضايا التي تحدث بين العرب.

المادة الثانية عشرة: كل قائد يعين من كل قبيلة عليه أن يسكن برفقة أفراد أسرته في مدينة وهران.

ففي الغرب إضافة إلى معاهدتي ديميشيل هناك معاهدة الدوائر الزمالة التي عقدتها فرنسا مع شيوخ الدوائر والزمالة.

فقبائل الدوائر والزمالة اعتبرت الساعد الأيمن لفرنسا حيث مكنتها من دخول مدينة معسكر وتلمسان بفضل جهود مصطفى بن إسماعيل.

6 – معاهدة التافنة 1837

لم تعمر معاهدة دميشيل طويلا لعدم التزام الطرفين ببنودها، فتجددت الحروب بينهما وأنهكتهما الأمر الذي فرض عليهما اللجوء من جديد إلى توقيع معاهدة عام 1837 بالتافنة وهذا ملخص نصها:

المادة الأولى: حول اعتراف الأمير عبد القادر بسلطة فرنسا في إفريقية.

المادة الثانية: حول حدود حكم السلطة الفرنسية.

المادة الثالثة: حول مجال السيادة للأمير عبد القادر.

المادة الرابعة: حول حرية السكن للجزائريين.

المادة الخامسة: حول حرية التدين للجزائريين.

المادة السادسة: يزود الأمير الجيش الفرنسي بمقدار من المؤونة.

المادة السابعة: الأمير يشتري من فرنسا البارود والكبريت والسلاح.

المادة الثامنة: حول حرية تنقل بعض السكان.

المادة التاسعة: تبادل بعض الامتيازات.

المادة العاشرة: حول حرية التجارة.

المادة الحادية عشر: حول حرية واحترام التجار الفرنسيين.

المادة الثانية عشر: حول ردع المجرمين.

المادة الثالثة عشر: لا يحق للأمير التعامل في الموانئ مع غير فرنسا.

المادة الرابع عشر: معاملات الأمير التجارية تكون الموانئ التي تحت السيطرة الفرنسية.

المادة الخامسة عشر: حول تبادل ممثلين لكلا الطرفين[1].

كانت معاهدة التافنة بداية فترة استقرار وسلام عمل من خلالها كل طرف على تثبيت نفوذه السياسي في الداخل. مثلما اعترف بموجبها كل طرف بمجال سيادة الطرف الآخر.

وتعتبر هذه المعاهدة الأقوى التي نظمت العلاقات الداخلية والدولية بين الجزائر وفرنسا.

ولم تعمر هذه المعاهدة بل تم نقضها بداية من أكتوبر 1839، واستمرت الحروب بين الطرفين إلى أن قرر الأمير التوقف عن الجهاد البحري، فعقد اتفاقٌ بين الطرفين بشروط منها:

1 - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص-ص. 77-78.

- أن يرحل الأمير إلى عكة والإسكندرية.
- أن لا تمانع فرنسا كل من يريد مرافقة الأمير من العساكر.
- يكون أتباع الأمير في أمن.

7- توقف كل من الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي عن المقاومة

استمر الأمير عبد القادر يجاهد إلى أن سدت أمامه كل الأبواب وضعفت قواه نتيجة الضربات التي تلقاها من الأسر وبعض القبائل الجزائرية ومن نظام الحكم الملكي المغربي ومن القوة الفرنسية وظل يتنقل من مكان إلى آخر إلى أن أدرك أن الحل في العمل بأخف الضررين وهو التوقف عن القتال بالقاء السلاح وبالفعل تمت ذلك يوم 23 ديسمبر عام 1847 إثر اتفاق بينه وبين الفرنسيين على تسليم نفسه مقابل توقيف الإبادة على أن يكون حرا هو واتباعه في اختيار مكان منفاهم[1].

ونفس الشيء تقريبا بالنسبة للحاج أحمد باي الذي أمضى اتفاقا مع فرنسا وسلم نفسه لينفى إلى جهة هو يختارها وذلك عام 1848[2].

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج.2، ص-ص. 45-46.

2 - لمزيد من المعلومات يراجع أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ص-ص. 144-145

8 – معاهدة بني ميزاب 1853

كان الميزابيون يحظون بامتيازات في الجزائر العاصمة، مقابل خدمات كانوا يؤدونها. وقد ذكر بفايفر "وقد تولى الآغا أفندي إبراهيم قيادة الجيش الجزائري الذي كان ينظم إليه كل يوم بضعة آلاف. ومع أمين الميزابيين في الجزائر العاصمة حوالي أربعة آلاف"[1].

وحين تمكنت السلطة الفرنسية من احتلال أغلب المدن الجزائرية في الشمال وكذلك في الجنوب. وبمجرد أن احتلت الأغواط تأكد للميزابيين الخطر الفرنسي على تجارتهم وعلى مصيرهم، وأنه من المستحيل سياسيا التغلب على الفرنسيين عسكريا بعد أن تمكنوا من القضاء على أكبر المقاومين الجزائريين، فجنحوا للسلم وعقدوا معاهدة مع الجنرال راندون الفرنسي عام 1853 حفظت لهم الاستقلال الداخلي، إذ كان من أهم بنود هذه المعاهدة:

- لا يتدخل الفرنسيون في شؤون الميزابيين وخاصة الدينية منها.

1 - يراجع: سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ترجمة أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974، ص. 80

- حرية الميزابيين في ممارسة التجارة[1].

إذن لم تكتف السلطة الفرنسية بفتح العلاقات بواسطة مثل هذه المعاهدات والاتفاقيات بل التفتت إلى الجنوب الجزائري وعقدت معاهدات مع شيوخ هذه المنطقة، بداية ببني ميزاب وحاولت مهادنتهم بأن سمحت لهم بممارسة التجارة دون قيد أو شرط، وبذلك أنفرد المزابيون بهذه الميزة دون غيرهم.

ولكن الميزابيين ظلوا يمدون المسلمين في ثوراتهم ضد فرنسا فما كان من فرنسا إلاّ أن احتلت غرداية سنة 1882. وكان رد الميزابيين بمقاطعة فرنسا تجاريا، وعمليا فمنعوا أبناءهم الدخول إلى المدارس الفرنسية. ومن التجنيد.

ولجأ الميزابيون إلى سلاح آخر هو الصحافة فأسس محمد مرتضى الحسني الجزائري جريدة بيروت. وتتالت الصحف خاصة التي ألفها إبراهيم بن عيسى بن داود أبو اليقظان فأغلقت السلطة هذه الصحف

1 -لمزيد من المعلومات يستحسن مراجعة كل من:

-Trummelet (C.), Les Français dans le Desert, Paris 1925, p-p. 390-391.

-Alfred Chobaut , Voyage chez les Beni-Mzab, Paris 1898, p-p. 65-66.

التي عرفت بمقاومتها العنيفة للحجر الفكري. والآفاق الاجتماعية وللاستعمار الفرنسي

وهناك من الميزابيين الذين جاهدوا ضد الاستعمار والحضارة الفكرية الغربية ونذكر منهم محمد بن يوسف أطفيش (1820-1914) الذي عارض بقوة إبرام الاتفاقية 1853 وكان يقول "أن تشييع ثمانين جنازة في اليوم من بني يزقن أحب إلي من أن يطرق سمعي أن فرنسا وضعت قدمها على حجر واحد من تضفت". وقد ألقت فرنسا القبض عليه سنة 1882.

ومما يحكى عنه أن فرنسا أهدت له وساما علميا فوضعه في أسفل برنوسه بينما وضع الأوسمة العثمانية على صدره. ولما يسأل سبب هذا يجيب بان فرنسا دولة مشركة لا تكون إلاّ في الدرك الأدنى من النار.

9 – معاهدة التوارق 1862

كانت الصحراء الجزائرية محل اهتمام الفرنسيين منذ فترات سابقة عن الاحتلال لهذا أرادت أن تحتلها. واستخدمت لتحقيق هذا الغرض وسائل كثيرة منها التقرب إلى التوارق بإبرام اتفاقية مع كبار الشيوخ وهو إيخنوخن وذلك يوم 26 نوفمبر عام 1862 بمدينة غدامس وكانت أهم البنود كالآتي[1]:

المادة الأولى: إقرار الصداقة والتبادل بين السلطات الفرنسية ورؤساء مختلف فروع وقبائل التوارق.

المادة الثانية: يمكن للتوارق أن يمارسوا العمل التجاري في كل أسواق الجزائر دون أي قيد أو شرط مع أداء المكوس التجارية.

المادة الثالثة: يلتزم التوارق بتسهيل وحماية عبور المفاوضين الفرنسيين، لبلادهم ذهابا وإيابا إلى بلاد السودان، وحماية بضائعهم التجارية على أن يدفعوا المكوس العادية.

المادة الرابعة: تلتزم السلطات الفرنسية وزعماء التوارق بفتح طرق التجارة للفرنسيين إلى السودان، وإصلاحها وتحديدها،

1 – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص-ص. 123-124.

وتحديد المكوس وضبطها، وإصطلاح وإزالة كل العراقيل في وجه نشاط التجار الفرنسيين.

المادة الخامسة: بموجب التقاليد القديمة المنظمة للعلاقات التجارية بين بلدان شمال إفريقيا وسكان التوارق تبقى عائلة الشيخ الحاج إيخنوخن مكلفة بضمان المرور لقوافل الفرنسيين التجارية عبر بلاد أزقور، وتستمر العلاقات التجارية القائمة اليوم كما هي بين عائلات أزقور والشعابنة والسوافة.

المادة السادسة: تدفع القوافل التجارية الفرنسية ضريبة محددة لشيخ إيمنوخن أو ورثته ووكلائه ويحددها الحاكم العام الفرنسي والشيخ إيمنوخن.

المادة السابعة: تسوى الخلافات التي تنشب بين الطرفين بالود والإنصاف من طرف الشيخ أو مثيله بمقتضى العادات المعروفة في البلد[1].

المادة الثامنة: يلتزم الشيخ إيخنوخن، والزعماء السياسيون الآخرون لتوارق أزقور بربط علاقات جديدة مع توارق قبيلة كلوي، وتهيئة الظروف الحسنة للمفاوضين الفرنسيين لكي يمروا بسلام بقوافلهم عبر

1 – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، الجزائر 1980، ص 263.

بلاد الآير[1].

إذن إلى جانب بني ميـزاب كـان التـوارق الـذين عقـدت معهم فرنسا معاهدة في سنة 1862. وقد ركـزت فرنسـا في هـذه المعاهدة على الجانب الاقتصادي خاصة التجارة وأخـذ عهـود علـى الطوارق.

وصفوة القول إنه من خلال دراسة آثار المعاهدات يتـبين لنـا أن أغلب نتائجها كانت لصالح السلطة الفرنسية إذ بها تمكنـت مـن الانتصار السياسي على المقاومة الجزائرية.

1- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص. 124.

السجون الفرنسية في الجزائر

جريمة ضد الإنسانية

السجون الفرنسية في الجزائر

جريمة ضد الإنسانية[1]

مقدمة

وظفت السلطة الفرنسية في توسعها بالجزائر، واستيطانها لها وسائل متعددة؛ منها الحملات العسكرية، ووسائل دعائية، والتنصير والتعذيب والمعتقلات والسجون والمحتشدات. وسنحاول التحدث عن وسيلة السجون من خلال النقاط الآتية:

1- تعريفات

2 - من السياسة الفرنسية العامة في الصحراء

3- من سياسة المعتقلات

1 - ألقيت هذه الورقة في الملتقى الوطني بورقلة يوم 2003/02/27 حول مظاهرات 27 فبراير 1962

1- تعريفات:

التعذيب: جاء في الاتفاقية المناهضة للتعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة والصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة 46/39 المؤرخ في 10 كانون الأول/ديسمبر 1984[1] أن "التعذيب" هو أي عمل ينتج عنه ألم أو عذاب شديد، جسديا كان أم عقليا، يلحق عمدا بشخص ما.

ثم اعتمدت ونشرت مجموعة المبادئ المتعلقة بحماية جميع الأشخاص الذين يتعرضون لأي شكل من أشكال الاحتجاز أو السجن بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 173/43 المؤرخ في 9 كانون الأول/ديسمبر 1988. وتضمنت هذه المبادئ تعريفات منها:

(أ) "القبض" أي، اعتقال شخص بدعوى ارتكابه لجريمة أو بإجراء من سلطة ما.

(ب) يعني "الشخص المحتجز" أي شخص محروم من الحرية الشخصية ما لم يكن ذلك لإدانته في جريمة.

1 - حقوق الإنسان: مجموعة صكوك دولية، المجلد الأول، الأمم المتحدة، نيويورك، 1993

(ج) "الشخص المسجون" أي شخص محروم من الحرية الشخصية لإدانته في جريمة.

(د) "الاحتجاز" حالة الأشخاص المحتجزين حسب تعريفهم الوارد أعلاه.

(هـ)"السجن" هو حالة الأشخاص المسجونين حسب التعريف الوارد أعلاه.

2 – من السياسة الفرنسية العامة في الصحراء

بشيء من المراجعة للسياسة الفرنسية في الجزائر يتبين أنها ارتكبت مثل هذه الجرائم من دون أدنى اعتبار للقيم الإنسانية. فبالرغم من صدور هذه المبادئ في تاريخ متأخر عن ارتكاب الجرائم الفرنسية إلا أنها تعتبر إدانة صريحة ضد السياسة الفرنسية.

وكانت الإدانة حتى من الفرنسيين أنفسهم، فهذا لويس بلانكي يقول في تقريره: تريد الحكومة الفرنسية تثبيت الحضارة الأوروبية فوق أرض إفريقيا، ولذلك فرضت على حلفائها التخلي عن السلوكيات البربرية والعادات التي تثير الإشمئزاز والرعب، والتي تخالف قوانين الحرب.

ولإيقاف كل هذه العمليات العسكرية علينا أن نشجع حلفاءنا الذين يقدمون لنا مساجين، لأننا نعلم أن في حربنا ضد الأسبان تعرض جنودنا إلى التعذيب مرات عديدة عندما يقعون في

الأسر فماذا فعل الجنرال الإنجليزي ليتجنب تكرار هذه العمليات، لقد أعطى أمرا إلى جيشه وبعث به إلى المقاتلين (المحاربين) يقول فيه إنه يشتري وبثمن مرتفع جدا الأسرى الفرنسيين الذين يقدمون له.

وهذا الأمر الذي نشرناه بكل عناية وجد تطبيقه. ونحن متفائلين بالإنسانية في افريقيا وبزوال روح الأحقاد والثأر منها، وستبرد دماؤهم شيئا فشيئا بالإحتكاك بالحضارة الفرنسية.

وهذا الإجراء الذي نطالب به ليس بجديد عن المشرع الفرنسي، فالمادتان السادسة والسابعة من القانون العسكري الصادر في 26 نوفمبر 1726 جاء فيهما:

المادة 6: كل عسكري يقوم بتعرية رجل جرح في المعركة وهو حي يعاقب بعشر سنوات سجن.

المادة 7: كل فرد عند تعرية رجل جرح في معركة، وهو حي وقام بتعذيبه أو قتله، خارج الميدان فإن عقوبته القتل.

وهذا تشريع تفتخر به فرنسا، وهو يتوافق مع مبدأ الحرب وعلى المنتصرين من شعوب إفريقيا أن يمتثلوا لهذا التشريع.

ولكن بما أن فرنسا أصبحت المالك الشرعي لهذه المنطقة لأنها دمرت القوة التي حكمت العرب أكثر من ثلاثة قرون، عليها

بفرض نظام إداري وذلك بالنظر إلى الماضي وتطوير الحاضر لضمان المستقبل[1].

وقد ألح بلانكي على حكومته بتطبيق سياسة حكيمة فقال:

كان على الحكومة أن تتبنى نظاما إداريا في إفريقيا شبيها بنظام نابليون في مصر، وهو نظام ناجح، وهذا المثال يستحق الإتباع[2].

وقد تميزت السياسة الفرنسية في الجزائر عن باقي سياساتها الاستعمارية في البلدان الأخرى. إذ كانت الجزائر في نظر الفرنسيين امتدادا لفرنسا (قانون عام 1834 وعام 1848 وعام 1957). ولهذا بذلت جهدها لفرض أمر الواقع على الجزائريين، بأن طبقت سياسة قائمة على مبدأ إدارة البلاد بأبناء البلاد؛ بالترغيب والترهيب. مستخدمة وسائل كثيرة منها:

1- عقد "المعاهدات" التي كانت مع الداي حسين عام 1830. ومع الأمير عبد القادر عام 1834 و1837 و1847. ومع الدوائر والزمالة عام 1835. ومع سعد وليدو رابح عام 1835.

---

1 - يراجع ما نشرناه في كتابنا بعنوان: أبحاث في الفكر والتاريخ، دار الهدى-الجزائر، 2003، بداية من صفحة 26

2 - Blanqui , Rapport sur la situation économique de nos poussèssions dans le nord de l'Afrique en 1839 , Coquebert (W.) , Paris , 1840.

ومع الحاج أحمد باي عام 1848. ومع ميزابيي غرداية عام 1853. ومع التوارق عام 1862[1].

2 – تهجير السكان من مواطنهم

3 – إقامة السجون والمعتقلات

3- من سياسة المعتقلات

أسست السلطة الفرنسية سجونا ومعتقلات كثيرة عبر أنحاء الوطن. ولا تزال آثارها باقية إلى اليوم[2]. ونذكر منها:

سجن سركاجي، وسجن الكودية، معتقل شلالة. ومعتقل الجرف. ومعتقل آفلو. ومعتقل سيدي الشحمي. ومعتقل الدويرة. ومعتقل قصر الطير. ومعتقل رقان. ومعتقل عين البيضاء في ورقلة. ومعتقل البرج الأحمر. ملاحة. تازولت. فرجيوة. سمندو. ولامبيز. ولازيرت. سجن مزيرة. بالإضافة إلى سجون أخرى عبر أنحاء

---

1 - يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1991، ص-ص. 123-124.
ولمزيد من الاطلاع على محتوى هذه المعاهدة يراجع نصها باللغة الفرنسية في: عبد الرحمن تشايجي، الصراع التركي-الفرنسي في الصحراء الكبرى، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا 1982، ص-ص. 268-269.

2 - لمزيد من المعلومات يراجع كتابنا: فواصل في الفكر والتاريخ، "الجنوب الجزائري دعم للثورة التحريرية"، دار البعث، قسنطينة 2002، ص-ص. 122-149

الوطن.

ولم تكتف بهذه السجون والمعتقلات بل طبقت أشكالا أخرى من الإجرام منها النفي والقتل.

وبالمقارنة بين عدد المساجين من الجزائريين بالفرنسيين فالاحصاءات تبين أنه في عام 1877 كان عدد المساجين حسب الجدول الآتي[1]:

	رجال	نساء	المجموع	
في فرنسا	42960	9832	52792	%91,64
في الجزائر	4463	148	4611	%8
المجموع	47423	9980	57603	

وكان أغلب المساجين عام 1877 رجالا تتراوح أعمارهم بين 31 و60 سنة. وكذلك النساء اللواتي كان عمرهن ما بين 16 إلى 60 سنة. وقد أصيبوا بأمراض متنوعة بلغت 51 نوعا[2]. بجانب سجن مزيرة الخاص بالأطفال فقط[3].

ولتنظيم السجون فقد تأسس عام 1887 مجلس عال لإدارة السجون في فرنسا وفي مستعمراتها وتشكل من وزير الداخلية و9 من مجلس الأمة و 8 نواب ووكيل الجمهورية و 14 عضوا يمثلون

1- M. Michon, Statistique des Prisons, Imprimerie administration de Paul Dupont, Paris 1880, p. 6

2 - M. Michon, Statistique des Prisons . p. 106, 123.

3 - M. Michon, Statistique des Prisons . p. 228.

مختلف القطاعات. وقسموا وأداروا أعمال السجون بخمسة مكاتب[1].

1 - M. L. Herbette, Code Pénitentiaire, T 12, Melun, Paris, 1890 p-p. 7-13

فاتح الثورة الجزائرية

مقارنة بالثورات العالمية

فاتح الثورة الجزائرية

مقارنة بالثورات العالمية[1]

من المتعارَف عليه أن للثورات العالمية (التي سنبين مختصرها لاحقا) مشاريع حضارية. والسؤال الذي يمكن طرحه هو هل للثورة التحريرية مشروع حضاري أسوة بمشاريع تلك الثورات؟ وهل حافظت الثورة الجزائرية على قيم الشعب الجزائري من إرث وموروث وفي نفس الوقت سايرت وتفاعلت مع عوامل التطور الحضاري الغربي؟

ومن جانب آخر فالمؤكد تاريخيا أن فرنسا تمكنت من احتلال الجزائر لكن الأوروبيين هم الذين استوطنوا الجزائر. وتولّدت عن هذا الاستيطان ظواهر دخيلة مختلفة في الجزائر؛ ظواهر اجتماعية وقانونية وتعليمية وسياسية وفكرية وإعلامية. وبقدر ما كانت هذه الظواهر مختلفة فيما بينها، بل ومتصارعة فيما بينها بقدر ما كانت متحدة ضدّ جبهتين؛ الأولى ضدّ الجزائريين دائما. والثانية ضدّ سلطة باريس أحيانا. وبناء على هذا لم تكن الثورة الجزائرية ومن ورائها الشعب الجزائري في مواجهة القوة الحربية الفرنسية فقط بل كانت أيضا في مواجهة القوة الاستعمارية

---

[1] - ألقيت هذه الورقة يوم 2003/10/31 في ندوة بمدينة سكيكدة بمناسبة الاحتفال بعيد الثورة التحريرية. وعلى أمل أن تنشر في مجلة مصادر، للمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

الاستيطانية الأوروبية. وقد شكلت هذه القوة الاستعمارية تنظيمات وجيوشا متعددة أغلبها من غير الفرنسيين، مثل قوة كل من زواوة والصبايحية والمرتزقة الأجانب[1] والمنظمة الحربية السرية فيما بعد.

ولهذا فالحديث عن الثورة التحريرية يكون مفيدا كثيرا بالحديث عن مستواها التنظيري الأيديولوجي. والحديث عن هذا المستوى لا يكون بدوره أكثر فائدة إلا بالحديث عن بعده الحضاري. والسؤال الذي يمكن طرحه هو هل حدد منظرو الثورة التحريرية هوية الشعب الجزائري في نداء أول نوفمبر 1954؟ وهل رسموا أبعادها؟ فإذا كانت الإجابة على هذا السؤال بشكل إيجابي يكون للثورة التحريرية بعدٌ حضاريا؛ والذي على أساسه يتشكل المشروع الحضاري، أي المشروع الذي لا يخرج عن الإطار المحدد في الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية؛ وفي الجوانب الملتصقة بقيم الشعب الجزائري.

مع الأخذ بالحسبان إن من أهداف أي مشروع حضاري، لأيّ شعب ما ثائر هو السعي إلى تكوين رأي جمعي واحد، ورسم معالم سيادة لدولة قوية. وهو ما نلمسه في هدف الثورة التحريرية التي بدأت مشروعها الحضاري ببيان أول نوفمبر 1954 لتحرير الشعب الجزائري من الاستعمار الأوروبي، وفرز هويته عن بقية الهويات الاستيطانية.

1 - لمزيد من المعلومات عن هذه الجيوش يراجع كتابنا: من تاريخ الجزائر الحديث، مطبوعات جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 2000

وتوحيد صفوفه بنزع فتيل العرقية وبتأسيس دولة جزائرية حرة ديموقراطية قائمة على الإسلام دينا وعلى العربية لغة وعلى الثقافة العرفية ممارسة.

وقد تبلور هذا العمق التنظيري في نداء/بيان أول نوفمبر 1954. وفي ميثاق مؤتمر الصومام عام 1956 . وفي تأسيس كل من الحكومة الجزائرية المؤقتة وجيش التحرير الوطني عام 1958. وقد تمّ هذا التبلور بعد أن مرت الجزائر بمراحل كان من أهمها مرحلة الجهاد بشقيه المسلح والفكري العقدي. ثم النضال السياسي، وقد تكامل هذا الأخير وتعدد في ثلاثة مستويات هي:

1 - الفكر السياسي الساعي إلى الاستقلال التام عن فرنسا.

2 - الفكر الإصلاحي الداعي إلى تكوين الأجيال استعدادا لما بعد الاستقلال.

3 - الفكر الاندماجي الراغب في استبقاء فرنسا في جزائر مستقلة ذاتيا (الأحوال الشخصية).

ونحاول من خلال هذا التبيان عقد مقارنة بين انطلاق الثورة التحريرية والثورات العالمية لمعرفة موقع هذه الثورة من الثورات العالمية. مع ملاحظة إننا اقتصرنا الحديث عن بعض الثورات من دون التطرق إلى باقي الثورات الأخرى.

مع التذكير بما يعتمد عليه المنهج المقارن من مقومات أربعة وهي:

وجوه التوافق والاختلاف والتداخل والتكامل بين شيئين.

ومع التنبيه أيضا بأننا لم نرصد ثورات كثيرة أخرى لأن الموضوع مركز حول مقارنة الثورة التحريرية بأهم الثورات العالمية. وأيضا أن بعض الثورات تعد امتدادا للثورات العالمية المذكورة.

ولنوضح هذه الثورات من خلال الدول الآتي:

الثوره	عام	بقياده	ضد	مبادئ واهداف	مرجعيه	النتائج	ملاحظه
الجليلة الإنجليزية	1688	ارستقراطية ملكية	الملك	تغيير النظام الملكي	العرف الملكي	تغيير الملك	ثورة سياسية أفقية
الأمريكية	1773/ 1776	أبناء الحرية/واشنطن وبنجامين ورتشارد	الملكية البريطانية	- مقاطعة الضرائب - الانفصال عن بريطانيا - حسم الخلافات الداخلية -تنظيم التجارة الخارجية - نحن الشعب ثم نحن شعب الولايات الأمريكية ثم أمريكا للأمريكيين 1823	عقلانية- وضعية	-تطور كبير مس كل القطاعات -تأسيس حزبين: الجمهوريين والديموقراطيين - نظام فدرالي	ثورة سياسية انفصالية توسعية
الفرنسية	1789	-نادي اليعاقبة -الجمعية الوطنية	الملكية والكنيسة والاقطاعية	إخاء- حرية- مساواة- الحرب ضد الملوك ومع الشعوب- ارسل أعداءك إلى المقصلة قبل أن يرسلوك إليها- قتل الإنسان الماضي و"خلق" إنسان جديد.	فكرية فلسفية	- تغيير جذري سياسي واجتماعي واقتصادي وعقدي	ثورة برجوازية عقدية ضد القيم والدين. وقائمة على التصدير والمصادرة
اليابانية	1868	الإمبراطور موتسوهيتو	- هيمنة الديموس - نفوذ الغرب	تحول وبناء: -سياسي وإداري-عسكري/بحري. -اقتصادي/4000 مصنع بداية القرن 20 -دستوري بإنشاء عام 1889 مجلس تنفيذي يسمى ميكادو. ومجلس تشريعي بغرفتين النواب والشيوخ	و راثية إمبراطورية	في ظرف ربع قرن صارت اليابان قوة عالمية قهرت كلا من الصين 1895 وروسيا 1905	ثورة إصلاحية سياسية تكنولوجية تبوأت بعد الحرب 1 المكانة الثالثة في العالم بحريا واقتصاديا

المهدية في السودان	1881	محمد احمد المهدي	-المصريين- أغنياء السودان -الأوروبيين	-طرقية -إصلاحية -تحريرية استقلالية	-تصوف -عقدية إسلامية	-انتصرت عسكريا -أسست نظام حكم -استعمرتها انجلترا	ثورة إصلاحية اجتماعية وسياسية
البلشفية	1917	لينين/ الحزب الشيوعي	-القيصرية -البرجوازية -الرأسمالية	-لا حركة ثورية من دون نظرية ثورية - الأممية -ثورة دائمة مقابل مذبحة دائمة -تقرير المصير للقوميات غير الروسية- الاعتماد على البروليتاريا	البيان الشيوعي الماركسي 1848	-تأسيس نظام شيوعي -توسع استعماري	ثورة مادية عالمية ضد قيم دينية عالمية
التركية	1923	كمال أتاترك	مقومات أمة	-تأسيس حزب الشعب بعد إلغاء الأحزاب- إلغاء الخلافة الإسلامية 3 مارس 1924- تأسيس جمهورية -تأسيس المجلس الكبير بيده السلطة التشريعية والتنفيذية-محاربة الإسلام والمسلمين واللغة العربية-تكريس اللائكية	اللائكية	- حققت انتصارات عسكرية - حققت نهضة صناعية -كسبت تأييدا دبلوماسيا غربيا	ثورة شخص ضد أمة. ثورة مدنية ضد عرف
الصينية	1948	ماوتسي تونغ/ الحزب الشيوعي	-الإمبريالية اليابانية	- الاعتماد على الفلاحين	مبادئ الماركسية	-تحول اجتماعي -تأسيس قوة شيوعية كبرى	ثورة شعبية فلاحية

يوليو المصري	1952	جمال/الإخوان	-الملكية -الإنجليز	- قومية -استقلالية -إصلاحية اجتماعية وسياسية	-القومية العربية -القومية الدينية الإسلامية -اليسارية	-قيام جمهورية مكان الملكية -قيام وحدة سورية-مصرية 1958 -جلاء انجلترا 1954	حركة إصلاحية واجتماعية وسياسية استقلالية
الكوبية	بيان البر 1960	كاسترو	-نظام برجوازي وطني -أمريكا	- ريفية -تحرير الإنسان	-يسارية تحررية -تحرير أمريكا كلها	-حصار كوبا -صراع بين أمريكا وروسيا -قيام ثورات عديدة	ثورة تحررية
فاتح نوفمبر	1954	قيادة جماعية/ جبهة	هيمنة أجنبية	-إسلامية-استقلالية-الجنسية الجزائرية -وحدة المغرب-الحريات الأساسية -تقرير مصير الشعوب -تدويل القضية الجزائرية	-القيم الإسلامية -القوانين الدولية	-الحصول على الاستقلال كاملا -تأسيس دولة ذات سيادة	ثورة تحرير وبناء سياسي واجتماعي

بعد هذه المقارنة المختصرة تتبين أمور كثيرة تتعلق بالثورة التحريرية سنرصدها بعد تقديم الكلمات المفتاحية الواردة في بيان أول نوفمبر 1954 وهي:

الشعب الجزائري -جبهة التحرير الوطني- المناضلون-القضية الوطنية- الشباب -الاستقلال الوطني-الإمبريالية- الحركة الوطنية - ثورية- تحريرّية- الاستقلال -الدّولي - مفاوضات - الديبلوماسي - العرب والمسلمين-المغرب وتونس- الكفاح- السّلطة -الوحدة- المساواة - المعركة - العمل - الاستعمار- المواطنين الجزائريين - الرّأي العام- المأزق-الأحزاب-الدولة الجزائرية الديمقراطية- السيادة- المبادئ الإسلامية - التاريخ - الجغرافيا -اللغة والدين والعادات - الحرّيات الأساسية-تمييز عرقي أو ديني- تدويل القضيّة الجزائرية- وحدة شمال إفريقيا - الأمم المتحدة - الوثيقة - النّصر- السلم-الشعوب-تقرير المصير-الجنسية الجزائرية- فرنسية- المعتقلين- الوطن.

ويمكن تأليف معلومات دالة من خلال عرض بعض الكلمات المفتاحية لهذا البيان

الكلمات المذكورة في النداء وما يقاربها	عدد المرات	بنسبة % (من827 كلمة)	بنسبة % (من86 كلمة)
الشعب الجزائري	14	1,69	16,28
القضية الوطنية	8	0,97	9,30
الحركة الوطنية الجزائرية	7	0.85	8.14
جبهة التحرير	5	0,60	5,81
الاستعمار - الإمبريالية	5	0,60	5,81
الكفاح	4	0,48	4,65
الثورة	4	0,48	4,65
فرنسا	4	0,48	4,65
الدولية-الدبلوماسية	3	0,36	3,49
المناضل	3	0,36	3,49
النصر	3	0,36	3,49
الاستقلال	3	0,36	3,49
شمال إفريقيا	3	0,36	3,49

الجنسية الجزائرية	2	0,24	2,33
بلاد المغرب	2	0,24	2,33
تحرير	2	0,24	2,33
الدولة –السيادة الجزائرية	2	0,24	2,33
الأمم المتحدة	2	0,24	2,33
العرب-المسلمين	2	0,24	2,33
المعتقلين	1	0,12	1,16
المبادئ الإسلامية	1	0,12	1,16
السلم	1	0,12	1,16
تمييز عرقي	1	0,12	1,16
الدعوة للوحدة	1	0,12	1,16
الأحزاب	1	0,12	1,16
الحريات الأساسية	1	0,12	1,16
تقرير مصير الشعوب	1	0,12	1,16
مجموع الكلمات 86		10,40	100,00

إذن بعد هذا يتبين أن انطلاقة الثورة التحريرية وأهدافها تنفرد وتتميز عن بقية الثورات العالمية، وهذا من حيث إن:

- بيان أول نوفمبر نقطة تحول في مسار النضال السياسي الجزائري، بوضعه حد للتردد في المواقف وباتخاذه العمل الثوري وسيلة.

- مبادئ هذه الثورة نابعة من قيم الشعب الجزائري، على خلاف مبادئ بعض الثورات العالمية التي كانت في قطيعة سوسيولوجية مع شعوبها.

- مبدأ الثورة التحريرية قائم على احترام الشعوب الأخرى في تقرير مصيرها من دون تصدير ومصادرة من هذه الثورة، على خلاف الثورات الأخرى التي هي توسعية.

- اعتمدت الثورة التحريرية على كافة الطاقات الوطنية؛ عمالا وفلاحين، على خلاف بعض الثورات العالمية التي اعتمدت إما على الفلاحين أو على العمال.

- قيادة الثورة التحريرية جماعية في جبهة واحدة (جبهة التحرير)، خلاف بعض الثورات التي اعتمدت على قيادات فردية.

- مرجعية الثورة التحريرية المبادئ الإسلامية، على خلاف بعض الثورات التي اعتمدت على تنظير فلسفي وضعي.

- اكتسبت الثورة الجزائرية بفضل هذه المبادئ شهرة عالمية فتأثرت بها بلدان كثيرة ، ومن ثم صار لها مدّ تجاوز حدود الجزائر.

- هدف الثورة لم يكن فقط طرد العدو والحصول على الاستقلال السياسي؛ إنما كان بناء دولة ذات سيادة في إطار المبادئ الإسلامية.

-بداية الثورة كانت نداء فاتح نوفمبر أولا، ثم البندقية ثانيا بهدف الحصول على الاستقلال السياسي أولا، ثم البناء الحضاري ثانيا...

بسم الله الرحمان الرحيم

نداء إلى الشعب الجزائري

هذا هو نص أول نداء وجهته الكتابة العامة لجبهة التحرير الوطني إلى الشعب الجزائري في أول نوفمبر 1954[1]

أيها الشعب الجزائري،

أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية.

أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا – نعني الشعب بصفة عامة، والمناضلين بصفة خاصة- نعلمكم أن غرضنا من نشر هذا الإعلان هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل، بأن نوضّح لكم مشروعنا والهدف من عملنا، ومقومات وجهة نظرنا الأساسية التي دفعتنا إلى الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي، ورغبتنا أيضا هو أن نجنبكم الالتباس الذي يمكن أن توقعكم فيه الإمبريالية وعملاؤها الإداريون وبعض محترفي السياسة الانتهازية.

فنحن نعتبر قبل كل شيء أن الحركة الوطنية -بعد مراحل من الكفاح- قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية، فإذا كان هدف أي حركة ثورية – في الواقع – هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام بعملية تحريرّية، فإننا نعتبر أن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحدا حول قضيّة الاستقلال والعمل، أمّا في الأوضاع الخارجيّة فإن الانفراج الدّولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي تجد سندها الديبلوماسي وخاصّة من طرف إخواننا العرب والمسلمين.

إن أحداث المغرب وتونس لها دلالتها في هذا الصدد، فهي هي تمثل بعمق مراحل الكفاح التحريري في شمال إفريقيا، ومما يلاحظ في هذا الميدان أننا منذ مدّة طويلة أول

1 - إعداد: المتحف الوطني للمجاهدين.

الدّاعين إلى الوحدة في العمل. في هذه الوحدة التي لم يتح لها مع الأسف التحقيق أبدا بين الأقطار الثلاثة.

إن كل واحد منها اندفع اليوم في هذا السّبيل، أما نحن الّذين بقينا في مؤخرة الركب فإننا نتعرض إلى مصير من تجاوزته الأحداث، وهكذا فان حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها محطّمة، نتيجة لسنوات طويلة من الجمود والرّوتين، توجيهها سيّئ، محرومة من سند الرّأي العام الضّروري، قد تجاوزتها الأحداث الأمر الذي جعل الاستعمار يطير فرحا ظنا منه أنه قد أحرز ضخم انتصاراته في كفاحه ضدّ الطليعة الجزائريّة.

إنّ المرحلة خطيرة.

أمام هذه الوضعيّة التي يخشى أن يصبح علاجها مستحيلا، رأت مجموعة من الشباب المسؤولية المناضلين الواعين التي جمعت حولها أغلب العناصر التي لا تزّال سليمة ومصممة، إن الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه صراع الأشخاص والتأثيرات لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورية إلى جانب إخواننا المغارب والتونسيين.

وبهذا الصّدد فإننا نوضح بأنّنا مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعان السّلطة، إن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات التافهة والمغلوطة لقضيّة الأشخاص والسّمعة، ولذلك فهي موجهة فقط ضدّ الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى، الذي رفض أمام وسائل الكفاح السلمية أن يمنح أدنى حرية .

ونظن أن هذه الأسباب كافية لجعل حركتنا التحديديّة تظهر تحت اسم: جبهة التحرير الوطني.

وهكذا نتخلص من جميع التنازلات المحتملة، ونتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعيّة، وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية، أن تنضم إلى الكفاح التحريري دون أدنى اعتبار آخر. ولكي نبين بوضوح هدفنا فإننا نسطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا السياسي.

الهدف: الاستقلال الوطني بواسطة:

1-إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية.

2-احترام جميع الحرّيات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.

الأهداف الدّاخلية:

1- التطهير السياسي بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي والقضاء على جميع مخلفات الفساد وروح الإصلاح التي كانت عاملا هاما في تخلفنا الحالي.

2- تجميع وتنظيم جميع الطّاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفيّة النظام الاستعماري.

الأهداف الخارجية:

1- تدويل القضيّة الجزائرية.

2- تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي الإسلامي.

3-في إطار ميثاق الأمم المتحدة نؤكد عطفنا الفعّال تجاه جميع الأمم التي تساند قضيّتنا التحريرية.

وسائل الكفاح: انسجاما مع المبادئ الثورية، واعتبارا للأوضاع الداخليّة والخارجية، فإنّنا سنواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا.

إنّ جبهة التحرير الوطني، لكي تحقق هدفها يجب عليها أن تنجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد وهما: العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أو في ميدان العمل المحض، والعمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله، وذلك بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين.

إن هذه المهمة شاقة ثقيلة العبء، وتتطلب كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية، وحقيقة إن الكفاح سيكون طويلا ولكن النصر محقق.

وفي الأخير، وتحاشيا للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقية في السلم، وتحديدا للخسائر البشرية وإراقة الدماء، فقد أعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة، إذا كانت هذه السلطات تحدوها النية الطيبة، وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها.

1- الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية، ملغية بذلك كل الأقاويل والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية رغم التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري.

2- فتح مفاوضات مع الممثلين المفوضين من طرف الشعب الجزائري على أسس الاعتراف بالسيادة الجزائرية وحدة لا تتجزأ.

3- خلق جو من الثقة وذلك بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ورفع كل الإجراءات الخاصة وإيقاف كل مطاردة ضد القوات المكافحة.

وفي المقابل:

1- فإنّ المصالح الفرنسية، ثقافية كانت أو اقتصادية والمتحصل عليها بنزاهة، ستحترم وكذلك الأمر بالنسبة لأشخاص والعائلات.

2- جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية ويعتبرون بذلك كأجانب تجاه القوانين السّرية تجاه القوانين السارية.

أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون كجزائريين بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات.

3- تحديد الروابط بين فرنسا والجزائر وتكون موضوع اتفاق بين القوانين الاثنين على أساس المساواة والاحترام المتبادل.

أيها الجزائري، إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة، وواجبك هو أن تنضم إليها لإنقاذ بلدنا والعمل على أن نسترجع له حريته، إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك، وانتصارها هو انتصارك.

أمّا نحن، العازمون على الكفاح، الواثقون من مشاعرك المناهضة للإمبرياليين، فإننا نقدّم للوطن أنفس ما نملك

فاتح نوفمبر 1954

هجمات أوت 1955

عبر أنحاء الجزائر

هجمات أوت 1955عبر أنحاء الجزائر[1]

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم.. أيها الحضور الكريم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وشكر لكم أيها المنظمون لهذا الملتقى على ما قمتم به من تشريف لنا والسماح لنا بإلقاء هذه الورقة حول هجومات أوت 1955. وقد فضلت أن أعرض هذه الورقة من خلال النقاط الآتية:

1 – الفكرة الرئيسة.

2– الهدف من عرض هذا الموضوع

3 – تساؤلات.

4 – العرض

5– الاستنتاجات.

---

1 – ألقيت هذه المداخلة في الملتقى الوطني يوم 20 أوت 2003 بمدينة سكيكدة بمناسبة الاحتفال بذكرى هجومات أوت 1955

1- الفكرة الرئيسة.

إن هجمات ثورية جزائرية وقعت ضد الفرنسيين وأعوانهم في الجنوب الجزائري أيام 8، 9، 10، أوت 1955 بتخطيط من القيادة العليا في الأوراس لهدف توسيع دائرة الثورة.

2- الهدف من عرض هذا الموضوع:

- فتح حوار مع المجاهدين لتوسيع دائرة البحث ولتصحيح بعض القضايا.
- التعريف ببعد وشمولية معارك أوت 1955.

3 تساؤلات: لماذا أقدمت قيادة الأوراس في هذا الشهر وفي هذه المنطقة للقيام بهذا الهجوم؟ وهل هناك علاقة بين هذه العملية وبين بعملية العشرين من نفس الشهر في الشمال القسنطيني؟ وما هي أهم النتائج التي حققتها الثورة التحررية من هذا العمل؟

4 – العرض:

قبل أن أعرض هذا الموضوع لدي ملاحظات أقدمها لكم وهي:

- إن مداخلتي تأريخية أكثر مما هي تاريخية.
- إن مصادر ومراجع هذه المداخلة من الرواية الشفهية، ومن بعض الكتب ومنها في الأساس ما كتبه أبو القاسم سعد الله[1].

---

1 – أبحاث في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ج. 3، ط. 1، بيروت 1990، ص-ص. 101-160

- أذكر بما كتبته عن دور الجنوب الجزائري في الثورة التحريرية في كتابي: فواصل من الفكر والتاريخ بعنوان "الجنوب الجزائري دعم للثورة التحريرية"[1]. وكذلك في كتابي: رسالة الطريقة القادرية في الجزائر[2]. وكذلك: "من مصابيح الثورة التحريرية في الجنوب الجزائري"[3]. حيث تبين من خلال هذه الكتابات أن الجنوب الجزائري كان دعما كبيرا للثورة التحريرية؛ على الرغم من الدراسات الشحيحة حول هذا الدور.

وأبدأ هذا العرض بالحديث عن أهم المعارك التي وقعت في الجنوب الجزائري، وهي معركة غوط شيكة أوت 1955

فمن الحقائق التاريخية للثورة التحريرية أن مجالها الجغرافي كان شاملا للوطن الجزائري كله، وبمساهمة كل الشرائح الاجتماعية. وأن المعارك الحربية لم تقتصر على جهة معينة، فمثلا حين نذكر 20 أوت 1955 يتبادر إلى أذهان الناس أنها كانت في شمال قسنطينة فقط، وكأن الأمر في الثورة كان إقليميا وجهويا، لكن الحقيقة التاريخية تتأكد حين يقال إن هجمات أوت 1955 كانت في الشمال مثلما كانت في الجنوب الجزائري.

---

1 - طباعة دار البعث-قسنطينة 2002

2 - طباعة دار الهدى-عين مليلة قسنطينة 2003

3 - مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، عدد 14، أوت 2003، ص-ص.107-119

والسؤال الذي يمكن طرحه هو كيف حدث ذلك؟ ولماذا الجنوب الجزائري بالذات؟

الجنوب الجزائري معروف بانتشار العلماء والطرقيين فيه مثلما هو معروف بمقاومته ضد الأوروبيين. فوادي سوف مثلا كان يشكل حلقة وصل بين شمال الجزائر والدول الإفريقية وتونس وليبيا؛ لهذا كان يحظى باهتمام هذه الأطراف. ولهذا كان يعتبره قادة الثورة التحريرية مركز ثقل ومدًا استراتيجيا للثورة؛ فهو موطن لتخزين الأسلحة وتهريبها، أي أن أغلب الأشياء التجارية والحربية، والثقافية كانت من الجنوب.

وقد تضافرت عوامل جعلت الجنوب الجزائري وبخاصة منه وادي سوف موطنا هاما للفعل الثوري، ونذكر منها عامل المناخ والتضاريس الذي لم يعزلها بفعل ما يقوم به السكان من نشاط تجاري وسياسي. لهذا تميز الجنوب الجزائر بعوامل كثيرة عن الشمال الجزائري. وكان من بين هذه العوامل:

- عامل انتشار الطرق الصوفية كالقادرية والرحمانية والتجانية التي شاركت في الثورة كل منها بطريقتها الخاصة.
- كان وادي سوف مستودع الأسلحة المهربة أثناء الحرب العالمية الثانية.
- عامل الجوار الذي أدى إلى أن تزدهر التجارة وتنشط السياسة وتتسع الثقافة؛ لهذا ركز الاستعمار الاستيطاني جهده ليحتل أهم المواقع؛ مثلما ركز قادة الثورة لكي يكون وادي سوف مدًا ثوريا مستمرا؛ إذ نظم قادة

الثورة هجمات على مواقع الاستيطان نذكر منها معركة غوط شيكة يوم 8 أوت 1955 كانت شديدة شاركت فيها الطائرات وأسقطت منها واحدة. والسؤال الذيّ يمكن طرحه هو كيف جرت هذه المعركة ولماذا في شهر أوت ومن قادها؟ يقول أبو القاسم سعد الله: إن رجال الثورة الذين شاركوا في مهمة سوف لا يعرفون الجواب على أي سؤال. إنهم فقط يعرفون أنهم دعوا إلى اجتماع من قبل شيحاني بشير، الذي خلف مصطفى بن بولعيد بعد اعتقاله، وطلب منهم القيام بهذه المهمة التي كان يعرف مقدما أنها عملية انتحارية. ولذلك فإنه لم "يأمرهم" جميعا بالذهاب وإنما طلب منهم الترشح للمهمة برفع الأيدي. فالذين لا يحسون من أنفسهم القدرة عليها لا يتطوعون لها. ومما زاد الأمر صعوبة هو أنه حرمهم من حمل الكرطوش معهم، حتى اضطر احدهم، وهو عبد المالك قريد (الجنة)، إلى إخفاء أربعين كرطوشة عن نظر قائده، احتياطا للطريق.

إن المهمة التي كانوا مكلفين بها تتلخص في التعليمات الآتية: جمع السلاح، وجمع المال، وتجنيد الشباب، والدخول مع العدو في معركة إذا اقتضى الأمر.

ومن المحتمل أن يكون من بين أهداف قادة الثورة في هذا الظرف التاريخي هو استثمار إمكانيات كل المناطق من تراب الوطن. وكانت فمنطقة سوف مشهورة بما يتوفر فيها من الأسلحة منذ الحرب العالمية

الثانية، بجانب نشاط تجار الأسلحة الذين ما يزالون على صلة بالحدود الليبية والتونسية. وهناك أفراد معروفون محليا بأنهم يخبئون أسلحة شخصية معينة خوفا من السلطات الفرنسية. لقد قال السيد المرحوم حمية بأنه كان يخبئ الكرطوش (حوالي 800) في كيس من الجلة (أي فضلات الإبل).

ويقول أبو القاسم سعد الله: ونحن لا ندري المقدار الذي جمعه الثوار من الناس، لأن العملية لم تكلل بنجاح باهر، ولكن يبدو أن التنظيم المدني كان قد وفر مالاً من التبرعات وعطاءات السكان، والذين كانوا يستلمون المال هم المسؤولون المدنيون (السياسيون) المعينون في كل ناحية، وقد كان مركز هذا المسؤول الرئيسي في تلك الأثناء (1955) في حاسي خليفة (واسم المسؤول عندئذ هو طالب بشير).

وأما تجنيد الشباب للثورة فقد تحقق نسبيا. ذلك أن الثوار، وإن لم يعودوا بالأسلحة والمال والشباب إلى القيادة التي أرسلتهم، فإنهم في الواقع قد جندوا الناس نفسيا للثورة بل وجاؤوا بها إليهم في عقر دارهم، وكانت المعركة في حد ذاتها امتحانا لهم جميعاً، وقد اشترك فيها الشيوخ والشباب والنساء والأطفال، كل حسب دوره وطاقته. والشبان الذين لم يتح لهم الالتحاق بالثورة رفقة زملائهم في ذلك الوقت التحقوا بها فيما بعد عندما وجدوا الفرصة مناسبة[1].

---

1 - يراجع: أبو القاسم سعد الله، أبحاث في تاريخ الجزائر، ص. 118

ونعود إلى كيفية توجيه هذه المجموعة المجاهدة إلى وادي سوف من الأوراس بتخطيط القيادة الثورية ومنها شيحاني بشير وعباس لغرور. لأن دعت هذه القيادة إلى اجتماع في ناحية وادي هلال قرب موسى البهلول بجبل الجرف، وذلك في تاريخ 29 يوليو 1955. وكان القرار هو ضرورة توجه فصيلة من المتطوعة (المسبلين) إلى وادي سوف لجمع الأسلحة والمال للثورة وتجنيد بعض الشبان، وتحسيس العامة بالثورة مع التعليمة بعدم الدخول في معركة مع العدو إلا إذا كان ذلك ضرورياً.

إذن شكل هؤلاء المتطوعون أربع فصائل، فصيلتان بكل واحدة عشرة مسبلين. وفصيلتان في كل واحدة إحدى عشر مسبلا. فالجملة من المشاركين 42 شخصاً انطلقوا من واد هلال بالجرف يوم 29 جويليا 1955 تحت قيادة حم الأخضر وهو من أولاد عمارة، وهو من الذين شاركوا مبكراً في الحركة الوطنية، وعاشوا الثورة منذ بداياتها، وكان عمره سنة 1955 حوالي ثلاثين سنة. وأول معركة اشتبك فيها مع العدو كانت بحاسي خليفة في 17 نوفمبر 1954.

وبوشاية من أحد أذناب السلطة الفرنسية انكشف سر الثوار فهجم عليهم جيش الاستعمار ووقعت بينهم معارك منها معركة غوط شيكة[1] التي استمرت من يوم 8 أوت إلى غاية 1955

---

1 - وغوط شيكة منخفض خصب به مزرعة كبيرة للنخيل، تضم أكثر من 200 نخلة كلها في ريعان شبابها، وكان هذا النخيل قد غرسه فلاحو الدخان، على ما يقال، تطوعاً منهم واعترافاً بالمعاملة الحسنة التي كان "شيكة" يعاملهم بها عند شرائه الدخان =

يحكى عن هذا المجاهد عبد المالك قريد أنه تولى إدارة سجن قسنطينة، وعشية العيد سرح كل المساجين واتفق معهم على العودة وبالفعل عادوا كلهم[1].

5- الاستنتاجات:

حققت هذه الهجومات نتائج كثيرة منها:

- تأكيد شمولية الثورة.
- تلاحم الشعب الجزائري بقيادته.
- تحطيم أسطورة تفوق فرنسا.
- إبعاد الشبهة عن الثوار بأنهم قطاع طرق.
- استشهاد وأسر 41 مجاهد باستثناء واحد فقط هو قريد عبد المالك.

منهم، كمنحهم السلفة وتأجيل دفعها لغير القادرين ونحو ذلك، وكان شبكة قد تولى هذه المهمة عدة سنوات (الثلاثينات والأربعينيات)يأتي كل خريف هناك لشراء الدخان الذي يسقيه الفلاحون خلال الصيف بالماء النادر، وتذكر الروايات الشعبية أنه كان من المعمرين (الكولون) الفرنسيين ذوي الأصل الإيطالي، ولعله من المالطيين، وبقي يتردد على قمار ويقيم فيها حوالي ستة أشهر من كل سنة ويشتري الدخان ويصدر، بعد ذلك للشركات بأوروبا لتصنيعه، وقد عمر طويلا حتى أصبح شيخا هرما. لمزيد من المعلومات راجع: أبو القاسم سعد الله، أبحاث في تاريخ الجزائر، ص. 134-135

1- ذكر هذه الحكاية الدكتور سلمان نصر بجامعة الأمير عبد القادر.

- ومن جانب فرنسا، فحسب الرواية أن 600 من الفرنسيين قتلوا خلال ثلاثة معارك جرت في غوط شبكة، والمغيلة. وأن 35 خائن من "القومية" ذبحوا في الساباط[1].
- إسقاط طائرتين فرنسيتين من مجموع 36 طائرة.
- تجنيد كثير من الشباب في صفوف الثورة.
- يبقى الغموض ما إذا كانت الصلة بين قيادة الأوراس وقادة هجوم 20 أوت 1955 شمال قسنطينة.

---

1 - وهو عبارة عن سقيفة مبنية بالجبس والحجر وتستعمل للمقيل.

من مصابيح الثورة التحريرية في الصحراء الجزائرية

(التأريخ المخفي)

من مصابيح الثورة التحريرية في الصحراء الجزائرية

(التأريخ المخفي)[1]

سبق وأن تحدثنا عن دعم الجنوب الجزائري للثورة التحريرية، وأكدنا على أهمية ذلك الدعم الذي كان بالمواجهة المستميتة ضد الاستعمار الذي بفضله تمكنت جبهة التحرير الوطني من الانتصار السياسي-العسكري والدبلوماسي. حيث بينا ذلك من خلال عرضنا لشهادة الحاج بومادة مشري (الساكن في ورقلة حي بني ثور) الذي زودنا بمعلومات عن التجنيد وعن التمويل وعن المجالس الشعبية الثورية وعن مظاهرات 27 فيفري 1962[2].

ونحاول الآن التحدث عن دور أحد الأبطال بقيادتهم ودعمهم للثورة من خلال شهادته الحية. وهي شهادة بقدر ما لها من قيمة تاريخية عالية بقدر ما هي تشرف صاحبها وممن كانوا برفقته. مثلما تشرف الطريقة القادرية التي وقفت ضد الاستعمار الفرنسي منذ البداية إلى النهاية، بجانب دورها في نشر الدعوة المحمدية الصحيحة. إذ يشهد للشيخ

1 - نشر هذا المقال في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، أوت 2003

2 - لمزيد من المعلومات يراجع ما كتبناه في كل من:

- بحوث تاريخية، مطبعة دار البعث- قسنطينة 2001، ص-ص. 175-189

- فواصل من الفكر والتاريخ، مطبعة دار البعث، 2002 ، ص-ص. 123-149

إبراهيم الهاشمي القادري الشريف ولأبنائه الشرفاء بالوقوف إلى جانب إخوانه الجزائريين والقيام بالجهاد، لأن أول ما تعرفنا عنه هو أن إبراهيم الهاشمي قد أرسل من الجريد التونسي ابنه محمد الهاشمي الشريف (1853-1923)[1] خلال الثمانينيات من القرن التاسع عشر للقيام بدور الجهاد في الجزائر.

وفور وصول الشيخ محمد الهاشمي الشريف وجه دعوة لسكان وادي سوف كي يثوروا ضد الفرنسيين، مقتديا بموقف جده الشيخ أحمد الشريف الذي ناصر الأمير عبد القادر في محاربته العدو الفرنسي.

ولم يكتف الشيخ إبراهيم الشريف بإرسال أبنائه للغرض النبيل، بل أرسل المجاهد بوشوشة وجهز له جيشه ليقوم بالجهاد في منطقة غرداية وورقلة والأغواط والوادي.

ولما قام ناصر بن شهرة بالثورة في الأغواط أرسل الشيخ إبراهيم الشريف ابنه الشيخ محمد الطيب الشريف وهو شقيق الشيخ محمد الهاشمي الشريف (الذي قام بهدة اعميش في الوادي عام 1918). وقد عرف محمد الطيب الشريف تيمنا بجده رسول الله بالاسم الحربي وهو الشريف محمد بن عبد الله[2].

---

1 - ينظر ملحق رقم 1

2 - لمزيد من المعلومات يراجع كتيباه بعنوان: "التوسع الفرنسي ومقاومة الشريف محمد بن عبد الله" في كتابنا: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مطبوعات جامعة منتوري،

وبعد وفاة محمد الهاشمي الشريف تولى أمر الجهاد بعده أخوه عبد العزيز الهاشمي الشريف[1]. وكان عبد العزيز الشريف على اتصال دائـــم بشيوخ جمعية العلماء وفي مقدمتهم الشيخ عبد الحميد بن باديس[2].

ولم يتوقف شيوخ الأسرة الشريفة الهاشمية القادرية عن الجهاد منذ أن وطئت أقدام الأوروبيين أرض الجزائر إلى يوم الاستقلال؛ حيث كان المجاهدون يحتمون بهم في سرية وأمان[3]. إذ ساعد شيوخ هذه الأسرة كثيرا من الجزائريين للاستقرار في تونس بعد طردهم من الجزائر. مثلما تبرعوا لصالح الثورة بمقر لهم في تونس به 70 مفتاح؛ وقد استرجعته الحكومة التونسية على أساس أنه معلم أثري وعوضته للثورة التحريرية

=قسنطينة، 1999. ومراجعة كذلك أعمال الملتقى الوطني حول الذكرى 36 للانتفاضة الشعبية في ورقلة يوم 27 فيفري 1998، نشر دار الثقافة لولاية ورقلة 1999

1 - ينظر ملحق رقم 2

2 - لمزيد من المعلومات يراجع كتابنا: رسالة الطريقة القادرية في الجزائر، دار الهدى، 2003، ص. 34، 36-37، 63 يكون الشيخ عبد العزيز الهاشمي بانضمامه إلى جمعية العلماء وهو طرقي قادري قد فند المقولة بتعميم الصراع بين العلماء والطرقيين. وقد يكون لدراسته في الزيتونة (1913_1923) عملا بوصية الجد لأولاده وأحفاده بالدراسة في الزيتونة من دون استثناء. والملاحظ أن كثيرا من الطرقيين قد انضموا إلى جمعية العلماء ومنهم عمر دردور ابن شيخ الطريقة الدردورية باولاد عبدي في الأوراس. لمزيد من المعلومات يراجع أحمد صاري، "مجيء عبد العزيز الهاشمي للإصلاح"، المجلة التاريخية المغاربية، العددان 99-100، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان تونس 2000

3 - ينظر ملحق رقم 3

بعقرين اثنين. مثلما واصل شيوخ القادرية عملهم الخيري والإنساني بعد الاستقلال وإلى اليوم.

ومن المجاهدين الشرفاء الذين كانوا مصباحا للثورة التحريرية شيخ الطريقة القادرية في الجزائر وعموم إفريقيا وهو **حساني محمد بن إبراهيم الشريف**[1]، الذي زودنا بشهادته القيمة؛ وإذ ننشر هذه الشهادة /الوثيقة النادرة ونحن مسرورين للثقة التي وضعها فينا صاحب هذه الشهادة الحية. مثلما نحن ملتزمين بالبحث التاريخي المنصف. أي، بعرض هذه الوثيقة مثلما هي وتقديم محتواها بالدراسة؛ للقراء الكرام قصد الإثراء والتصحيح من دون تزيّد أو تحيز[2].

فالفضل إذن في إعداد هذا الموضوع يعود إلى نجله الفاضل لحسن حساني الشريف بن محمد بن إبراهيم الشريف الذي ساعدنا فله جزيل الشكر على وفائه بالأمر، والتزامه بقول الصدق، وحفظ السر، وعلى حسن تعاونه وصدق أمانته.

وقبل عرض هذه الوثيقة لنا أن نقول إنه صارت أمامنا قناعة بأن الثورة الجزائرية عمت مختلف أنحاء الوطن. وإن الجنوب الجزائري شارك وبقوة في الحركة الوطنية وفي الحركة الإصلاحية وفي الثورة التحريرية؛ إذ كانت المعارك فيه متزامنة وبنفس القوة والتنظيم مع معارك الشمال

---

1 - ينظر ملحق رقم 4

2 - ينظر ملحق رقم 5

الجزائري. فمن خلال الرواية والكتابات التاريخية[1] يتبين أن معارك كثيرة وقعت بالصحراء الجزائرية منها معركة الصحين (قرب حاسي خليفة) يوم 17 نوفمبر 1954. ومعركة صحن الرتم (الجديدة) يوم 15 أفريل عام 1955 ومعركة غوط شيكة بوادي سوف التي تواصلت من يوم 8 إلى يوم 11 أوت عام 1955 وغيرها من المعارك التي لا تقلُّ أهمية عن معارك 20 أوت 1955. وما وجود قوافل من الشهداء من أبناء وطننا بالصحراء من بداية الثورة إلى نهايتها إلاّ دليل على ما نقول[2].

عرض الوثيقة:

أما فيما يتعلق بالموضوع فلنا أن نقول إن أساسه وثيقة هي من المذكرات الثورية النادرة التي يحكي فيها شيخ الطريقة القادرية **حساني محمد بن إبراهيم الشريف** مساهمته ومسؤولياته في ثورة التحرير من بدايتها إلى نهايتها.

والشيخ **حساني محمد بن إبراهيم الشريف** هو شيخ الطريقة القادرية حاليا في الجزائر وعموم إفريقيا كلها. وقد عرف الشيخ أثناء

---

1 - لمزيد من المعلومات يراجع ما كتبه أبو القاسم سعد الله في: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج. 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990، ص-ص. 101- 160

2 - لمعرفة شيء عن الشهداء في وادي سوف فقط يراجع: سعد العمامرة والجيلاني العوامر، شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، مطبعة النخلة، بوزريعة- الجزائر العاصمة (؟).

الثورة بأسماء عديدة بسبب تنقلاته ومشاركاته في عدة منـــاطق داخليـــة وخارجية. ولالتزام الحذر حتى لا يكشف اسمه. ومن هذه الأسماء هي:

1- أبو صحور

2- مصباح نور الدين

3- سي محمد بن إبراهيم

4- حاج محمد

5- حم باهي

يقول الشيخ في مذكراته هذه: "بدأنا العمل الثوري سنة 1955 وهي السنة التي حل خلالها بمدينة ورقلة الشهيد **سي الحواس** رحمه الله برفقة كل من السيد **شيحاني البشير وبالحوتية الجيلاني** حيث اتصلوا بوالدي **سي إبراهيم الشريف** قصد التنسيق معه لتوسيع نطاق الثورة التحريرية ودعمها[1]. وكان والدي حين ذاك شيخا كفيفا، فقدمني إليهم. وبعد الحديث تم الاتفاق بيننا وطلبوا مني إرساء قواعد الثورة والنهوض بها في الجهة وتبليغ رسالة الثورة بالمنطقة وهذا بتشكيل أفواج. وكل فوج

1 - كان هذا الاتصال بعد قرار قيادة الثورة في الأوراس المؤلفة من شيحاني بشير وعباس لغرور والأزهر حذري في اجتماعهم يوم 29 يوليو عام 1955 في جبل الجرف على ضرورة جعل الصحراء قاعدة دعم للثورة بجمع الأسلحة المخزنة عند السكان منذ الحرب العالمية الثانية. وجمع المال وتجنيد الشباب وتحسيس المواطنين بعظمة الثورة. ذكر تاريخ هذا الاجتماع أبو القاسم سعد الله في: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص. 119

يتكون من خمسة أعضاء في سرية تامة بحيث أن كل فوج لا يعرف أسماء الأفواج الأخرى وهذا بهدف التمويل والتموين وتسليح الثورة التحريرية المباركة، وقد تم بالفعل تطبيق وإنجاز هذه المهمة في فترة لا تفوت شهرين".

نستنتج من هذا الاتصال أمورا كثيرة، منها أنه كان لرحال الثورة بعدٌ وطنيٌ شاملاً؛ من دون عزل منطقة الصحراء التي حاولت الســلطة الفرنسية منذ بداية توسعها عزلَها عن الشمال الجزائري. وكذلك كــان الاتصال مبكرا، أي في السنة الأولى من اندلاع الثورة. مما يؤكد مشاركة الصحراء الجزائرية في الثورة التحريرية منذ البداية.

وأيضا إن قادة الثورة كانوا على دراية بقيم الرجال لما اختاروا **حساني محمد بن إبراهيم الشريف** نظرا لمكانته الدينية والاجتماعية والعلمية والدولية. ونعم الاختيار، إذ بفضله اتسعت رقعة الثورة وحققت انتصارات كثيرة؛ سياسية عسكرية واجتماعية ودولية. إذ مثلما قال الشيخ **حساني محمد بن إبراهيم الشريف** في مذكراته: "و(تمّ) تجسيد ذلك مباشرة بعد اتصالنا بالوثائق الرسمية بواسطة السيد **بوزاهر الصديق** من مدينة بسكرة وبطبيعة الحال فكل ما يتم جمعه من تمويل ومال وسلاح يحول مباشرة إلى بسكرة إلى منطقة (اليانا كومين وادي عرب) حيث يوجد قائد المنطقة **الطاهر الزبيري** ونائبه **عبد القادر** واستمر النضال على هذه الوتيرة إلى أن تعددت جهات اتصالنا، ففي سنة 1957

اتصلت بمنطقة متليلي الشعانبة حيث يوجد المجاهد **سي محمد جغابة** ورفقاؤه مثل **إبراهيم بن دهان وسي قزمة وعثمان حامدي**[1]. وفي سنة 1957 اتصلت بجهة الأغواط حيث يوجد كمونه **الصادق بن كركبان أحمد**. وفي نفس السنة ازداد اتصالي إلى الولاية الخامسة[2] في العقد حيث كان على رأسها الأخ **بن حمد عبد الغني، ومولاي إبراهيم والطالب الصادق وبلقاسم بن الشاوي**".

من المؤكد تاريخيا أن هذه الأسماء المذكورة قد قامت بدور مشرف لصالح الثورة. مثلما واصلت أعمالها الوطنية بعد الاستقلال.

---

1 - عثمان حامدي هو من المجاهدين الذين ذهبوا إلى مدينة ورقلة وأشرفوا على سير مظاهرة 27 فيفري 1962

2 - من المتعارف عليه أنه بداية من مؤتمر الصومام عام 1956 قسمت الجزائر الثورة إلى خمس ولايات ولم تنشأ الولاية السادسة إلاّ عام 1958 حين تشكلت الحكومة المؤقتة. وكان مقر هذه الولاية السادسة قرية/مدينة مدوكل ومقرها كان بسيطا أي كازمة تحت شجرة بقيادة أحمد بن عبد الرزاق المعروف بسي الحواس الذي استشهد يوم 29 مارس 1959.

وكان التنظيم الإداري عهد الثورة بهذا التسلسل وعلى هذا الشكل: الولاية وتنقسم إلى مناطق. وكل منطقة تتشكل من نواحي. وكل ناحية تتفرع إلى قسمات. وكل قسمة تتكون من مجالس بلدية. ويسير كل مجلس بلدي خمسة أعضاء ومنهم أمين المال وعضو إصلاح. من شهادة الحاج بومادة مشري. يراجع: بحوث تاريخية. ص. 187

ويواصل الشيخ حديثه في مذكراته مبرزا دور الطريقة القادرية في الجهاد خلال الثورة التحريرية فيقول: "وفي سنة 1958 أمرتنا القيادة بالولاية الخامسة بتكوين جبهة ثورية في ازقر(منطقة إليزي) وهذا لعلمهم بمكانة الطريقة القادرية عند التوارق بحيث تخدم الثورة التحريرية وسيجدون نداء الثورة صدى ووقعا كبيرا في نفوس الجماهير فاتصلنا فورا كان توارق ازقر (قائد **إبراهيم بكدة**) والسيد **بن سبقاق الحاج محمد العايب الشعبي** فلبيا الدعوة وطلبا التمويل بالمواد الغذائية دون السلاح فكونا جيشا تعداده 111 جنديا على أن يتواجد هذا الجيش في 10 جبال محددة والقيادة تكون في جبل يعرف باسم **فظنون**".

يدل هذا الكلام على رغبة الثورة في توسيع الجهاد إلى أقصى جهة من الوطن؛ بل على نجاحها. مثلما يدل على عمق البعد الـديني فيهـا. وعلى الروح الدينية العالية للمجاهدين الصحراويين التوارق.

يذكر الشيخ **حساني محمد بن إبراهيم الشريف** حقائق عن تنظيم الثورة وعن التنظيم الإداري بها فيقول: "وفي سنة 1959 توحد عملنا الثوري مع الولاية السادسة التي أصبحنا ننتمي إليها نظاميا وجغرافيا بقيادة المرحوم العقيد **محمد شعباني؛ وعمر الصخر، ومحمد شنوفي، وعثمان حامدي، وحمد طالبي، وجغابة محمد، ورشيد الصائم**.

وفي سنة 1960 وبناء على المعلومات الصادرة من قيادة الولاية حولت الأفواج المؤسسة في 1955 إلى مجالس شعبية نظامية ثورية وشكلت مع إخواني هذه المجالس في كل من:
ورقلة، وزاوية سيدي موسى، والبيزي، وجانت، وعين صالح، تمنراست.

من خلال هذه المعلومات تتأكد لنا حقيقة وهي أن للمجالس الثورية دورا كبيرا في تسيير الثورة. مثلما تتأكد لنا حقيقة أخرى وهي أن المجالس لم تكن في ورقلة فقط بعددها 14 مجلسا وإنما كانت في مختلف المناطق الصحراوية الأخرى.

ويواصل المجاهد حديثه عن كيفية تدعيم الثورة التحريرية بجلب الأسلحة فيقول: "وفي نفس السنة 1960 تعزز العمل الثوري وهذا بإشرافنا على جلب الأسلحة المختلفة الأنواع من قيادة أركان الحرب المنطقة الصحراوية بليبيا على رأسها **فرحات الطيب** المدعو **زكريا** ومساعديه **علي بوغزالة وسي حمزة** المدعو **سي عبد الكريم** وتبليغها رأسا إلى قائد الولاية العقيد **شعباني** في جبل امساعد في بوكحيل ومن أجل تسهيل هذه العملية العويصة كونا مراكز عبور الأسلحة نذكر منها: **مراكز الدبدبات، أوهانت، بركايز، جانت**... الخ.

حيث تجمع وتنقل الأسلحة إلى مقر قسمة 81 بورقلة تحت قيادتي أما المواد الغذائية والأسلحة والأموال فكانت ترسل إلى قائد الناحية الثالثة وقائد الناحية الرابعة".

ففيما يتعلق بجمع الأسلحة فقد سبق وأن عرضنا كيفية نقلها من الجنوب إلى الشمال في موضوع **الجنوب دعم للثورة التحريرية**. فالأسلحة كانت تجمع قبل وبعد تأسيس الولاية السادسة عام 1958 بعد تشكيل الحكومة المؤقتة. وكانت ورقلة كفرع/قسمة تابعة للولاية الأولى ضمن المنطقة الخامسة بقيادة عمار الصحري. وكان مقر هذه الولاية **مدوكل** وهذا المقر كان عبارة عن كازمة تحت شجرة بقيادة أحمد بن عبد الرزاق المعروف بسي الحواس الذي استشهد برفقة زملائه ومنهم العقيد آيت حمودة عميروش والرائد عمر إدريس يوم 29 مارس 1959 في جبل ثامر ببوسعادة.

وكان التنظيم الإداري عهد الثورة يتكون من الولاية التي تنقسم إلى مناطق. وكل منطقة تتشكل من نواحي. وكل ناحية تتفرع إلى قسمات. وكل قسمة تتكون من مجالس بلدية. ويسير كل مجلس بلدي خمسة أعضاء ومنهم أمين المال وعضو إصلاح. فيكون المجلس البلدي هو النواة ومركز الفعل في الثورة التحريرية بالجنوب الجزائري.

المهم؛ تجمع الأسلحة قبل اندلاع الثورة التحريرية من تونس وليبيا ومن بعض الدول الإفريقية. وكان من الأوائل الذين جمعوا الأسلحة في

الصحراء بداية الثورة الحاج حجاج الخير وأبناؤه ومنهم محمد العربي.

وكانت المجالس البلدية وعددها 14 مجلساً[1].

ويواصل المجاهد حساني محمد بن إبراهيم الشريف حديثه فيقول:

"وفي سنة 1961 تعزز النظام بتواجد قائد الناحية الرابعة **محمد شنوفي وعثمان حامدي** حيث أصبحنا نتعاون مع بعضنا البعض لإرساء قواعد الثورة وتعزيزها من أجل انتشار العمل الثوري بالجبهة وإحباط كل المناورات التي تحيكها فرنسا ضد الثورة بمحاولة فصل الصحراء على الشمال.

أما المظاهرات التاريخية 27 فيفري 1962 والتي نظمت بأمر منا نحن الثلاثة وبتنسيق مع المجالس النظامية الأربعة عشر المتواجدة في مختلف أرجاء مدينة ورقلة والتي كللت بالنجاح التام وكانت بمثابة الضربة القاضية لفرنسا.

وهذا كل الأعمال باختصار شديد التي قدمناها للثورة.

(فالتحيا الجزائر والمجد والخلود لشهدائنا الأبرار)

الواثق بالله حساني محمد بن إبراهيم

نائب الطريقة القادرية–ورقلة

---

1 - براجع ما كتبناه بعنوان "الجنوب الجزائري دعم للثورة التحريرية"، في: فواصل من الفكر والتاريخ، مطبعة دار البعث، قسنطينة 2002، ص-ص. 133-134

من خلال هذه المذكرة تتأكد جملة من الحقائق منها أن قادة المنطقة الجنوبية كانوا على اتصال دائم بالقيادة الثورية العليا وبالحكومة المؤقتة. وأنه فور الاتفاق على القيام بمظاهرة 27 فيفري كان الاتصال سريعا بكتابة الرسائل وتوزيعها إذ يقول في هذا الموضوع الحاج بومادة مشري: "وبالفعل شرعنا في كتابة الرسائل إلى مشايخ المجالس البلدية في ورقلة وكان عددهم 14 مجلس بلدي. وكنا مجموعة من الكتاب ومنهم الملازم الثاني محمد شنوفي ومساعده عثمان حامدي والكاتب عبد الجبار. وانتهينا من كتابة الرسائل في بيتي (في قارة بومادة مشري) وأنهينا كتابة الرسائل يوم 26 فيفري قبل صلاة المغرب"[1].

وقد ذكر الحاج بومادة مشري إن تنظيم المظاهرة كـــان حـــين "جاء المجاهدون وهم الملازم الثاني محمد شنوفي وعثمان حامدي وعبـــد الجبار من أجل التحضير لهذه المظاهرة. وقد تمّ الإعداد"[2].

وها هو المجاهد الشيخ حساني محمد بن إبراهيم الشريف يوضح أن القيام بالمظاهرة كان بأمر منه ومن قائدين آخرين وقد يكون كل من **محمد شنوفي وعثمان حامدي**. أو العقيد **محمد شعباني والطاهر الزبيري** قائد ناحية بسكرة؛ فيؤكد بقوله "أما المظاهرات التاريخية 27 فيفري 1962 والتي نظمت بأمر منا نحن الثلاثة".

---

1 - براجع كتابنا: بحوث تاريخية، المرجع السابق، ص. 183

2 - بحوث تاريخية، ص. 184

سبق وأن قال الحاج بومادة مشري "للثورة صدى كبير، من ذلك أنه في الساعة الرابعة من نفس اليوم يوم المظاهرة سمع البعض من سكان ورقلة إذاعة بغداد/العراق شعار: تحي ورقلة من جنوب الجزائر"[1]. وعلى هذا الأساس يمكن طرح السؤال الآتي: ألا يكون لرجال الطريقة القادرية في بغداد دور في الإشادة بهذه المظاهرة تأييدا للثورة الجزائرية، بحكم أن هذه الثورة دعمتها الطريقة القادرية في الجزائر في شخص المجاهد الفاضل حساني محمد بن إبراهيم الشريف نائب الطريقة القادرية في عموم إفريقيا.

وصفوة القول إن لمذكرات الشيخ حساني محمد بن إبراهيم الشريف نائب الطريقة القادرية قيمة تاريخية هامة. لأنها تبين مواقف مشرفة لرجال كانوا مصابيح الثورة في الجنوب الجزائري. فبفضلهم كان مجال الثورة قد امتد إلى أعماق الجنوب الجزائري. وكان التلاحم والاعتصام بين جميع أفراد الشعب الجزائري شمالا ووسطا وجنوبا وكان الاستقلال كاملا غير منقوص.

1 - بحوث تاريخية، ص. 188



ملحق رقم 1
صورة الشيخ محمد الهاشمي الشريف



ملحق رقم 2
صورة الشيخ عبد العزيز الشريف



ملحق رقم 3

أخذت هذه الصورة في قصر منوبة بمدينة تونس، وهذا القصر هو ملك لأسرة الهاشمي الشريف.

الصف الأول: في الوسط الشيخ عبد القادر الشريف بن الشيخ الهاشمي، وعلى يمينه الشهيد عباس لغرور، والذي على يساره لم يعرف اسمه.

الصف الثاني: من اليسار إلى اليمين هو الشهيد علي شكور الذي يضع يده على كتف الشهيد عباس لغرور، والذي على يساره لم يعرف اسمه. وعلى اليمين أي الثالث قبل الأخير هو الشهيد عبد الكريم حساني، والذي في الأخير على اليمين لم يعرف اسمه.



ملحق رقم 4

صورة الضابط حساني محمد بن إبراهيم الشريف عام 1959

تعزز النظام بتواجد قائد الناحية الرابعة محمد شعباني وعضدا جامعي حيث أصبحا تعاودا مع بعضا البعض لإرساء قواعد الثورة وتعزيزها من أجل انتشار العمل الثوري بالجهة وإحباط كل المناورات التي تحيكها فرنسا ضد الثورة وهذا لفصل الصحراء على الشمال.

أما المظاهرات التاريخية 27فيفري 1962والتي نظمت بأمر منا نحن الثلاثة وبتنسيق مع المجالس النظاميةالاربعةعشر المتواجدة في مختلف أرجاء مدينة ورقلة والتي كللت بالنجاح التام وكانت بمثابة الضربة القاضية لفرنسا

وهذا كل المجال باختصار شديد التي قدمها للثورة.

((فتحيا الجزائر والمجدوالخلود لشهدائنا الأبرار))

الوثق بالله حساني محمدبن إبراهيم

نائب الطريقة القادرية -ورقلة-



ملحق رقم 5

مقطع من مذكرات الشيخ حساني محمد الشريف

مواجهة الثورة التحريرية

لنتائج المشاريع الأوروبية

مواجهة الثورة التحريرية

لنتائج المشاريع الأوروبية[1]

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم .. أيها الحضور الكريم السـلام علـيكم ورحمة الله وبركاته..

في البداية لنا أن نشير إلى الفرق بين التبشير والتنصير، على أسـاس أن التبشير خاص بما جاءت به أوروبا من نُظُمٍ قِيَمٍ ، أي مشاريع مدنيـة لتبشر المجتمع الجزائري بحضارة ومدنية دينية وغير دينية جديدة. بينمـا التنصير هو ما تعلق بما قامت به الكنيسة المسيحية من دور لتنصير أبنـاء الجزائر. إذن فالتبشير هو شامل بينما التنصير هو خاص. وعليـه يمكـن طرح السؤال الآتي وهو ما هي طبيعة المشاريع التي جاءت بها أوروبا إلى الجزائر؟ وكيف تعاملت الثورة التحريرية الجزائرية مـع نتـائج هـذه المشاريع؟

وللإجابة على مثل هذه الأسئلة سنحاول التركيز في موضوع ورقتي هذه على النقاط الآتية:

---

1 - ألقيت هذه الورقة في الملتقى الوطني حول الأبعاد الحضارية للثورة التحريرية الجزائرية عام 1954 بكلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة يومي 10-11 ديسمبر 2002.

1 – من واقع الجزائر قبيل الاستعمار الأوروبي

2 – المشروع "الحضاري" الأوروبي في الجزائر

2-1-مشروع ملكي محافظ ثم جمهوري فرنسي.

2-2-مشروع كاثوليكي

2-3-مشروع ليبرالي

2-4-مشروع سان سيموني

2-5-مشروع ماسوني

3 – مواجهة الثورة التحريرية لهذه المشاريع

1 – من واقع الجزائر قبيل الاستعمار الأوروبي

كانت حياة المجتمع الجزائري في المدينة تختلف عن الريف، وكانت هذه الحياة تسير بقوة سلطانية وأخرى طرقية ومذهبية، أي أن هذه الحياة كانت تتحكم فيها أكثر من سلطة: سلطة القبيلة، وسلطة الطريقة، والسلطة المذهبية والسلطة السلطانية؛ فحاولت سلطة الاستعمار أن تحل محلها. ونتيجة لهذا التنوع لم تتمكن السلطة السلطانية العثمانية من تمدّ نفوذها إلى مختلف أنحاء الوطن. لهذا كان خطاب الأرض وعصبية الدم والولاء للشيخ هو الأيديولوجية الموجهة للمجتمع الجزائري.

وبواسطة ما حدث من انتقال وتداخل بين ما هو قبلي وطرقي ومذهبي كان السعي والتطور إلى مستوى الأمة الجزائرية انطلاقا من المثمنات الثقافية، أي، أن هذا التطور أدّى إلى إحداث تراكم حضاري، وبمعنى آخر أدّى إلى تطور عمودي ولد تطلعا نحو التأسيس القومي، والمتمثل في الأمة ذات المستوى الثقافي العالم، ومن دلالات ذلك بناء مؤسسات وهياكل علمية وتعليمية واجتماعية واقتصادية، فتم إرساء قواسم تاريخية مشتركة من دون أن تتمكن قوة ما من أن تصادرَ مبادئ الشعب الجزائري، فكان هذا رصيدا قوميا استفادت منه الثورة التحريرية وتوظيفه للحصول على الاستقلال كاملا بعد أن عجزت عنه المقاومة الوطنية.

2 – المشروع "الحضاري" الأوروبي في الجزائر

من غير المتعارَف عليه لدى أغلبية الدارسين والعامة أن أكثر من مشروع أوروبي رافق الحملة الفرنسية على الجزائر، واستمر فيها إلى أن تم الجلاء الأوروبي نهائيا عام 1962، وحاولت هذه المشاريع تأسيس سلطة عقلانية محلّ السلطة التقليدية والكاريزمية الجزائريتين (قبلية، وطرقية، ومذهبية) باستيطان كيانات اجتماعية أوروبية على أرض الجزائر سُيِّرت بقوانين غريبة عن المجتمع الجزائري.

2-1-مشروع ملكي محافظ ثم جمهوري فرنسي

وكان منظرو هذا المشروع كثيرين أمثال دي بولينياك ودي بورمون وبيجو، ونابليون الثالث وفيوليت وغيرهم.

وقام على إلحاق الجزائر بفرنسا وذلك بتدعيم شعبية الملك وحماية المسيحيين وتحرير العبيد بالقضاء على نشاط القرصنة وحماية التجارة الفرنسية، والحصول على مصادر تجارية بضمان طريق المواصلات إلى مصر والتخلص من دفع ديون الحبوب ومنافسة بريطانيا في مجالات استراتيجية. مع تطبيق مشروع تعليمي أوروبي بدأ بتدمير كثير من المؤسسات الجزائرية وتعويضها بمشاريع عمرانية. وبتأسيس مدارس أوروبية، ومدارس عربية – فرنسية لتحلّ محل المؤسسات التعليمية الجزائرية.

وتعددت أشكال المشاريع الفرنسية فكان منها مشروع المملكة العربية لنابليون الثالث 1863 ومشروع بلوم فيوليت الاقتصادي 1936 ومشروع شال العسكري 1958 ومشروع عبد الرحمان فارس الموالي لفرنسا 1961 ومشروع فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال.

2-2-مشروع كاثوليكي

قام على نشر الديانة المسيحية حسب ادعائهم في مجتمع –"بدائي متخلف". بهدف إحياء مجد العهد الروماني، وكان من رواد هذا المشروع كثيرين ومنهم لاندونان، ولافيجري، ودو فوكو. وتمكن رجال هذا المشروع من تحويل مساجد إلى كنائس، وتنصير كثير من أبناء الجزائر، مثلما تمكنوا من مساعدة جيش الاحتلال على التوسع والاستيطان.

2-3-مشروع ليبرالي

وكان من رواد هذا المشروع برودون، وسورال. والمعروف عن الليبرالية أنها تيار سياسي – اقتصادي برجوازي ظهر في أوروبا خلال القرن 17. ومصادرها الاقتصاد والأدب والفلسفة والقضايا الاجتماعية، هدفت إلى إقامة حكومة برلمانية للحدّ من نفوذ الأنظمة الملكية المحافظة

وسلطة الكنيسة بفتح المجال لحرية التجارة الخارجية[1]. ولهذا لا يستغرب حين ناصرت ومولت الغرفة التجارية البرجوازية بمرسيليا الحملة الفرنسية على الجزائر. واستثمر رأس مال في الجزائر بتأسيس شركات مثل الشركة السويسرية في سطيف.

وكانت الليبرالية في هذا الوقت مؤسسة على فكرة رئيسة هـــي أن الفرد وحدة قياس أساسية في هذا العالم، أي أن الأسرة والجماعة والدولة كلها مسخرة لخدمة الإنسان الذي هو المحرك لكل شـــيء. وتمكنـــت البرجوازية الليبرالية من تحقيق فائض تجاري عالمي بلغ 69 مليار دولار عام 1929 بعد أن كان 3 ملايير عام 1840[2].

وكانت فرنسا الديغولية تنافس أمريكا. لهذا وقفـــت المخـــابرات الأمريكية مع الجناح العسكري السري الفرنسي للعمل على فصل الجزائر عن فرنسا، وبالتالي لضرب السياسة الديغولية. على الرغم مـــن ضـــغط أمريكا والرأي العام العالمي على الحكومة الفرنسية كي تتخذ قرار مـــنح الاستقلال للجزائريين من دون تقسيم، ومن المحتمل أن تكون المواقـــف الأمريكية نابعة من استراتيجيتها الرامية إلى إعادة الخريطة السياسية الدولية

1ـــ أحمد عطية الله، القاموس السياسي، دار النهضة العربية، ط. 3، مصر 1968، ص ـــ ص. 1077 ـــ 1078.

2 _ Herbert Henton, Histoire économique de l'Europe, Armand Colin, Paris 1952, p.199.

بزحزحة فرنسا من مركز قوة القرار لكي لا تتحكم في زمـــام الأمـــور بشمال إفريقيا فيتم تقليص نفوذها من إفريقيا ومن شمال إفريقيا. ومـــن غير المستبعد أن يكون قادة الثورة التحريرية قد وظفوا هـــذه الظـــروف الدولية لصالح الاستقلال الذي تقرر في اتفاقية إيفيان في أمور ثلاثة هي: استقلال الجزائر وتوحيد صفوف الشعب الجزائري ووحدة ترابه .

وقد نتج عن الصراع بين الرأسمالية بما فيها الكولونيالية وجمهورية باريس انشطار في الصف الأوروبي بالجزائر. ولهذا كان المشروع الثوري الجزائري قد واجه هذين الطرفين المنشطرين معا. وكانت الغلبة في النهاية لمبدأ استقلال الجزائريين، وذلك بفعل ثلاثة أطراف هي: قيـــادة الثـــورة التحريرية بمؤازرة الشعب الجزائري. ووعي ديغول وأحرار العالم بضرورة تقرير المصير. وتأييد أغلبية الفرنسيين الأحرار حين صوتوا بنعم لفائـــدة الاستقلال. إذ حسب ما أورده أجرون[1] فإنـــه تم ســـبر الآراء حـــول الاستقلال إثر سؤال وجه إلى البارسيين وهو: هل أنت تؤيد الاستقلال؟ وكانت الإجابة على السؤال عام 1962 بنسبة 91% بعد أن ســـبق وأن كانت عام 1958 بنسبة 41%.

1- Ageron (Ch. R.), L'Algérie algérienne de Napoleon III â De Gaulle, Sindebad, Paris 1980, p. 253

وفيما يتعلق بالاستثمار الرأسمالي الأوروبي في الجزائر فقد ترتبت على مصادرة الأرض الجزائرية تحول اجتماعي كبير. ونتج عن تراكم الرأسمال الأوروبي استغلال مساحات كثيرة استثمرت كروما.

2-4-مشروع سان سيموني

السان سيمونية تيار فلسفي واقتصادي وسياسي وديني؛ لائكي يؤمن بحرية المعتقد من دون إكراه. ومن رواده سان سيمون، والأب آنفانتان، وإسماعيل أوربان؛ الذين كانوا يؤمنون بمستقبل العلم كوحدة قياس في هذا العالم. ومن مبادئه إقامة نظام حكم استيطاني قوي متعدد المشاريع خارج أوروبا لتطوير المجتمعات «المتخلفة». ولهذا كانت مشاريعه كثيرة، في الجزائر مثلا كانت سياسته قائمة على بناء الطرقات والسكك الحديدية وإقامة الاستيطان المدني واستغلال المناجم. حيث بدأت المشاريع الكبرى في الجزائر منذ عام 1857 خاصة مشروع السكة الحديدية من الجزائر إلى وهران. ومن سكيكدة إلى قسنطينة بإشراف شركة باريس — ليون.

بجانب هذا فقد تحققت جملة من المشاريع الاقتصادية والاجتماعية والإعلامية. وقد ساعدت هذه المشاريع الهجرة الأوروبية على الانتشار في الجزائر.

2-5-مشروع ماسوني[1]

الماسونية تيار فكري علماني عالمي غامض كان هدفه الظاهري عالمية المعتقد لخدمة الإنسان بالخلق والإبداع وبالإخاء والمساواة. لهذا انتشرت محافل الماسونية في العالم وفي الجزائر[2].

وكانت كل من الليبرالية والكاثوليكية والسان سيمونية والماسونية متفقة على ضرورة احتلال الجزائر واستعمارها إلا أنها كانت مختلفة فيما بينها وفقا لاختلاف مشاريعها. أي أن الاتفاق كان حول أن تحتل فرنسا الجزائر لكن أوروبا هي التي يجب أن تستعمر الجزائر. وهو ما تم فعلا. لكن المعمرين لم يتوقفوا عند حدود الاستيطان بل طالبوا باستقلال عن فرنسا لصالحهم بتكوين دولة خاصة بهم على غرار ما حدث في أمريكا وكندا واستراليا. لهذا قام المستوطنون بقيادة جنرالات حرب والمنظمة الحربية السرية بانقلاب ضد ديغول لتحقيق مشروع الانفصال.

---

1 – لمزيد من المعلومات يراجع ما كتبناه في: من تاريخ الجزائر الحديث، مطبوعات جامعة الأمير، قسنطينة 2000

2 – لمزيد من المعلومات يراجع ما كتبناه في: من تاريخ الجزائر الحديث،

3 – مواجهة الثورة التحريرية

من المتعارَف عليه أن التاريخ الحديث شهد ثورات عالمية ذات مشاريع حضارية[1]. والسؤال الذي يمكن طرحه هو هل للثورة التحريرية بعدٌ حضاري، وبالتالي مشروع حضاري، أي المشروع الذي لا يخرج عن الإطار المحدد في الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية.

لأن المفترض في أي مشروع حضاري لأيّ شعب هو الذي سعى إلى تكوين رأي جمعي واحد، ورسم معالم سيادة لدولة قوية. وهو ما نلمسه في هدف الثورة التحريرية التي بدأت مشروعها الحضاري بتحرير الشعب الجزائري من الاستعمار الفرنسي، وفرز هويته عن بقية الهويات الأخرى.

وبهذا كانت المواجهة الجزائرية للمشروع الأوروبي منذ أن جاء إلى الجزائر على الرغم من أن منظري الثورة لم يكونوا على نهج أيديولوجي واحد. إذ كان ممن يتبنى الفكر اليساري. مثلما كان من يقتنع بالليبرالية. وكذلك كان من يعتنق المبادئ الإسلامية. وكان أيضا من يميل إلى الأفكار القومية الناصرية. وعلى الرغم من وجود هذا الاختلاف لكن القاسم المشترك بينهم هو استقلال الجزائر وطرد الأجنبي.

1 – يراجع موضوع: "ملامح الثورة الجزائرية مقارنة بالثورات العالمية"، في هذا الكتاب.

جرى هذا في الوقت الذي كان أكثر من طرف يطالب باستقلال الجزائر؛ حيث كانت جبهة التحرير بدعم من الشعب الجزائري تطالب بالاستقلال الكامل. وكان المعمرون وتساندهم فرق من الجيش يطالبون بالاستقلال والانفصال عن فرنسا. وفي نفس الوقت كانت فرنسا/ديغول تفاوض من أجل استقلال الجزائر للجزائريين.

وللوصول إلى النصر وظفت الثورة التحريرية وسائل وطرائق متعددة فكانت:

1– دبلوماسية (علاقات دولية عالمية. مؤتمرات. مفاوضات..).

2– حضارية (دينية إسلامية. إنسانية لأنها ارتبطت بمبدأ حقوق الإنسان وتقرير المصير. سلمية. إبداعية..). فمن باب المقارنة نلاحظ أن "شعوب" أمريكا وكندا وأستراليا وجنوب إفريقيا لم تتمكن من الصمود والحصول على الاستقلال إنما الذي حدث هو أن انفصلت عن أوروبا وتكونت فيها دولة أوروبية عادية، لكن الأمر لم يحدث هكذا في الجزائر على الرغم من حدوث نفس المراحل في الجزائر التي عرفتها تلك الشعوب. والسبب المباشر في هذا يعود إلى وجود بعد حضاري ديني في الجزائر يختلف عما هو لدى تلك الشعوب.

3– إعلامية (دعائية. مكتوبة. مسموعة. فنية–رياضية).

4- عسكرية (جيش التحرير. الفدائيون. المسبلون. المعارك). ومن النتائج الهامة أن الجزائريين هم الذين تمكنوا من طرد الأجنبي، بينما كان سابقا الأجنبي في الغالب هو الذي يحتل البلاد بعد أن يطرد الأجنبي.

6- طلابية (تكوين علمي. تنظيمات. مقاطعة الدروس وإضرابات).

7- عمالية نقابية؛ (تجنيد. مظاهرات).

فيما يتعلق بالنقابة العمالية فهي دعم قوي في مشروع الثورة التحريرية، لأنه من العادة في التاريخ أن النقابة تنشأ من أوساط العمال[1] في المصانع، وتكون مطالبها اجتماعية. لكن الذي حدث في الثورة التحريرية يختلف تماما عن هذا؛ إذ أنه بعد الحرب العالمية الثانية كانت علاقة الحركة العمالية الجزائرية بفرنسا أخذت طابعا سياسيا انطلاقا من المشاركة العمالية الجزائرية في جبهات القتال بجانب فرنسا. لأن فرنسا ألغت كل القوانين التي كانت تمنع الهجرة الجزائرية إليها ونلمس هذا في ميثاق عام 1947[2]. وإن كان الهدف هو تعمير فرنسا بيد عاملة جزائرية وليس مثل ما تظاهرت به أن ذلك كان مراعاة لجهود الجزائريين في الحرب[3]. ومنذ هذا التاريخ صار عدد المهاجرين الجزائريين 67000 ليصل

---

1 - من المعلوم أن العمال الجزائريين أربعة أنواع وهم عامل فلاح موسمي (خماس). وعامل أجير يومي. وعامل في المصانع والمناجم. وعامل مجند في الجيش الفرنسي.

2 - عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1979، ص. 140

إلى 164900 عام 1954 من بين عدد الجزائريين 8.449.300 نسمة عام 1954[1]. وعاد منهم نفس العام 136.200[2]. ومن غير المستبعد أن يكون للثورة التحريرية دور كبير في هذا نتيجة التحاق الشباب والطلبة[3] بصفوف جيش التحرير. مع العلم إن الإحصاءات بينت عدد القادرين عن العمل من الشبان الجزائريين عام 1954 كان 2300.000[4].

كل هذه الظروف سواء المتعلقة بالسياسة الفرنسية الداخلية والخارجية أم المتعلقة بالمجتمع الجزائري وبأرضه هي التي أدت إلى تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين[5] ليكون دعامة الثورة التحريرية.

وكان من الصعب على أية حركة جزائرية أن تكسب إلى صفها هذه الطبقة العمالية الجزائرية المختلفة المستوى. ولكن جبهة التحرير الوطني تمكنت من توظيف هذه الطبقة العمالية وجعلها قوة ثالثة مكملة لقوة الجيش وقوة الشعب المتمثلة في الاتحاد العام للعمال الجزائريين بداية

---

1 - ينظر: عمار بوحوش، العمال الجزائريون ، ص. 168

2 - عمار بوحوش، العمال الجزائريون. ص. 141

3 - كان عدد الطلبة بجامعة الجزائر عام 1954 من الأوروبيين 4.548 ومن الجزائريين 557 . ينظر عمار بوحوش، العمال الجزائريون. ص. 162

4 - عمار بوحوش. ص.166.

5 - لمزيد من المعلومات يراجع كتابنا: بحوث تاريخية، دار البعث-قسنطينة 2001، ص-ص. 174-179.

من عام 1956. والتزم هذا الاتحاد بمشروع سياسي في منظـــور شـــامل لمشروع الثورة التحريرية من دون أن تكون مطالبه اجتماعية في الأساس.

وخلاصة القول إن مشاريع أوروبية كثيرة حاولت استثمار الجزائر أرض استيطان خصبة. وقد تركت تلك المشاريع بصماتها، لكن الثورة التحريرية كانت قوية وخلصت الشعب الجزائري من هذه المشاريع وأبقت الجزائر دولة عربية إسلامية، وهنا تكمن عظمة هذه الثورة.

واقع البحث العلمي

في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

واقع البحث العلمي
في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم ..أيها الحضور الكريم السلام عليكم ورحمة الله. شكرا سيدي الرئيس[2]، فإن كان ولا بد من شكر فهو لرئيس مجلس المخبر الأستاذ الدكتور عبد الكريم بن عراب الذي تفضل وفتح لنا فرصة للحديث عن قطاع هام في البحث العلمي؛ وأعني به البحث في العلوم الإسلامية في الجامعة الجزائرية (جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة أنموذجا)، وإني سأوفر للسيد الأستاذ رئيس الجلسة شيئا من الوقت، لأنقذ نفسي من إلحاحه وضغطه الذي من حقه أن يسير الجلسة باختصار الوقت، لأوفر ذلك بما وزع عليكم من دليلين للجامعة، ومن ملخص هذه الورقة. ومثلما هو مبين بين يديكم فمضمون ورقتي مثمن في النقاط الآتية[3]:

1 – أهمية التربية التعليمية

2 – موجز عن التعليم في الجزائر قبل الاستقلال

---

1 – قدمت هذه الورقة في اليوم العلمي الدولي الأول: **التعليم العالي في الجزائر**، من تنظيم مخبر الاقتصاد وإدارة الأعمال، في نزل سيرتا-قسنطينة يوم 2003/12/18

2 – كانت الجلسة برئاسة الأستاذ الدكتور الحاسن مهديوي.

3 – أغلب هذه المعلومات أخذناها من **دليل الجامعة للدراسات العليا**، من إعدادنا، دار الهدى، قسنطينة 2003

3 – التعليم أثناء الاستيطان الأوروبي

4 – نشأة وأهداف جامعة الأمير عبد القادر

5 – نظام الدراسة والشهادات

6 – التخصصات ومواد الدراسة

7 – مجال البحث العلمي

8 – العلاقات الخارجية للجامعة

9 – الإصدارات

10- القيمة التراثية والاستراتيجية من البحث في العلوم الإسلامية

1 – أهمية التربية التعليمية

يمكن وصف التعليم بأنه المحور الأساس لأي نشاط تربوي في أي نظام سياسي. لأن التعليم تنمية مستمرة في بناء الشخصية القاعدية للفرد وللأسرة والمجتمع والدولة. فالتعليم ضرورة اجتماعية للتطور في مختلف المجالات، وعملية تواصل ثقافي ومعرفي بين الأجيال. وعامل مساعد لتكوين الضمير الجمعي للأمة. وللبحث العلمي موقع مركزي في النشاط التعليمي. والسؤال الذي يمكن طرحه في هذا المقام هو: هل يمكن التعرف على موقع البحث العلمي في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية؟ أي ما هي أهم التخصصات والمرافق العلمية فيها؟ وما هي أهم الشهادات الممنوحة وأهم النتائج العلمية المحققة؟

2 – موجز عن التعليم في الجزائر قبل الاستقلال

من المتعارف عليه أن التعليم العالي الخاص بالعلوم الإسلامية في الجزائر لم يحظ بعناية رسمية منذ التواجد العثماني (1516–1830) وكذلك خلال الوجود الفرنسي (1830–1962).

إذ أنه خلال هذه المئات من السنين لم يحظ التعليم الإسلامي إلاّ بعناية ذاتية من لدن المجتمع الجزائري، حيث كان للوقف/الحبس دور هام في تمويل التعليم الإسلامي انطلاقا من المؤسسات الثقافية المحصورة في المساجد والمدارس والزوايا والأسر/البيوتات العريقة الموسعة.

وكان الاعتناء بالعلوم والآداب والمهام العلمية والدينية في المدينة بيد الحضر (الأعيان) من الجزائريين، وفي الريف بيد شيوخ الزوايا. وهذا ما يفسر عدم وجود جامعات بالشكل الذي كانت عليه الجامعات الأخرى في دول إسلامية. ومع ذلك كان طلاب العلم والأساتذة ينتشرون في الجزائر. بل كان كبار المدرسين في الجامعات غير الجزائرية من الجزائريين، الأمر الذي يسمح لنا بالقول إن الجامعة كانت موجودة في الجزائر ممارسة من دون اسم. مع التأكيد على أن التعليم في الجزائر كان من حظ الأبناء الذكور من دون البنات، باستثناء مرحلة جمعية العلماء المسلمين التي فتحت الباب للبنات كي تتعلم. وهذا وفقا لما تقول به الشريعة الإسلامية التي سمحت للبنت المسلمة كي تتعلم. وقد نبغت كثيرات في هذا المجال،

ونذكر من ذلك المتصوفة رابعة العدوية وفاطمة ابنة إبراهيم المقدسية. والفقيهة فاطمة ابنة أحمد. والواعظة فاطمة ابنة البلخي الحراني. والشاعرة فاطمة ابنة محمد بن شيرين الحنفي. والمساهمة في تأسيس أنظمة حكم مثل بلقيس في اليمن أو حشبسوت المصرية أو السيدة البهجة في بني حلاب بتوقرت–الجزائر. والسيدة زينب شيخة الطريقة الرحمانية في بوسعادة–الجزائر. أما آلهة الجمال فهي نفرتيتي وعشتروت وحازية. وأما المجاهدة فهي فاطمة لا نسومر.

لكن الملاحظ أن أسماء المبدعات كثرت في المشرق وقلت في الجزائر خاصة خلال العهد الإسلامي أو العثماني رغم أن الإسلام أعطى للمرأة المكانة المرموقة؛ إذ لا نجد عالمات أو أميرات أو شاعرات في الجزائر بالشكل الذي نجده في المشرق. والسؤال الذي يمكن طرحه هو هل هذا يعود إلى العرف حين منع على المرأة تبوأ مكانة الفكر والإبداع في الجزائر؟ أو أن الأمر يعود إلى ذات المرأة نفسها حين مالت إلى السكون والاكتفاء بتأدية واجبات البيت تلبية لرغبات الرجل والمجتمع؟ أم أن الأمر يعود إلى الأنظمة السياسية التي تعاقبت على حكم الجزائر وحرمت البنت من التعليم، وبالتالي منعتها من تولي المسؤوليات العلمية والإدارية؟

3 – التعليم أثناء الاستيطان الأوروبي

وبمجيء الاستيطان الأوروبي تأسست مدارس تعليمية جديدة، ومعاهد، وجامعة، ويمكن حصرها في:

أولا: مدارس:

- تعليم لائكي مفتوح لمختلف الجنسيات.
- تعليم كاثوليكي
- تعليم يهودي
- تعليم إسلامي محافظ

ثانيا: معاهد هي ثلاثة:

1- معهد مختص بالرياضيات، والفلك والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والمناجم والجغرافيا والطب والتاريخ الطبيعي.

2- معهد خاص بالسُلالات البشرية والهندسة المعمارية؛ المدنية والعسكرية والفلاحة.

3-معهد تخصص في اللغات، والآداب العربية ومقارنتها بالأجنبية، وبخاصة منها التركية والفارسية.

وقد حاولت السلطة الفرنسية تأسيس مدارس لتدريس اللغة العربية والعلوم المتعلقة بالأحوال الشخصية، التي منها يتخرج القضاة، من دون التعمق في البحوث الإسلامية. وقد تخرج كثير من الشيوخ مزدوجي اللغة.

ثالثا: جامعة:

وفي مرحلة لاحقة تأسست جامعة في الجزائر العاصمة. وكانت خاصة بأبناء المعمرين، والقليل من أبناء الجزائريين، حيث بلغ عدد الطلبة

الجزائريين 77 طالبا من مجموع 1890 طالب خلال السنة الجامعية الأولى من تأسيسها عام (1929 /1930) أي بنسبة 4.07 %[1]. ووصل عدد الطلبة عام 1954 من الأوروبيين 4.548 ومن الجزائريين 557[2]. أي بنسبة 12,24%.

وكانت كل التخصصات لا تمت بصلة إلى العلوم الإسلامية. باستثناء ما يدرس في الثانويات والمعاهد، حيث حظيت بعض المواد في العلوم الإسلامية بعناية. يعني هذا أن العلوم الإسلامية لم تكن موضوع عناية رسمية في مستوى البحث الجامعي إلى أن حصلت الجزائر على استقلالها السياسي حيث سعى مسؤولوها إلى تأسيس معاهد إسلامية ثم جامعة إسلامية[3].

---

1 – لمزيد من المعلومات يراجع: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 3، دار الغرب الإسلامي بيروت 1998، ص. 310.

2 – ينظر عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1979، ص. 162

3 – الملاحظ أن التعليم العالي عرف مراحل مختلفة كانت تحت وصاية كل من الجزائر وفرنسا من عام 1962 إلى عام 1968. ثم خضع إلى هيئة التعاون العلمي الجزائري الفرنسي من عام 1968 إلى عام 1971. وبعدها أشرفت أكثر من وصاية جزائرية على تسيير البحث العلمي، كانت لرئاسة الجمهورية مرة، وأخرى لوزارة الداخلية، إلى أن صار أخيرا تحت وصاية وزارة التعليم العالي. وقد تأسست جامعة الأمير في عهد=

4 – نشأة وأهداف جامعة الأمير عبد القادر

أنشئت جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في مدينة قسنطينة بمرسوم رقم 182/84 صادر يوم 04 أوت 1984. وافتتحها فخامة رئيس الجمهورية يوم 19 محرم 1405 هـ الموافق لـ 14 أكتوبر 1984. أي بعد مرور 22 سنة من الاستقلال. ومن الأهداف التي أنيطت لها:

1 – تكوين الطلبة تكوينا إسلاميا علميا

2 – نشر المعارف الإسلامية

3 – تطوير البحث العلمي

4 – إعداد الدراسات والأبحاث الأكاديمية

5 – حفظ المخطوطات وتحقيقها

6– فتح باب التعاون مع الجامعات والمراكز والمواقع العلمية عبر العالم.

وبرغم أن الجامعة تحمل عنوان العلوم الإسلامية فهي تهتم بكل قضايا العصر الأخلاقية والفكرية. وتتفتح على كل الاختصاصات العلمية

-وصاية وزارة الداخلية (1984-1986). لمزيد من الاطلاع على مراحل التعليم العالي في الجزائر يراجع: عبد الكريم بن عراب، "مستقبل البحث العلمي في الجزائر"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، عدد 13، دار الهدى-قسنطينة 2003، ص-ص.168-189.

الحديثة؛ لهذا فهي تسعى إلى استثمار مواردها بشكل علمي. وتطمح إلى فتح مزيد من التعاون مع كل الجامعات العالمية. ولتحقيق هذا أقامت الجامعة نشاطات علمية بعقد ملتقيات وندوات فكرية متخصصة.

5 – نظام الدراسة والشهادات

مدة الدراسة بالمرحلة الجامعية في مستوى التدرج أربعة سنوات. وتبدأ من الجذع المشترك لمدة سنة. ومنها يوجه الطلبة إلى التخصصات حسب رغبتهم وقدراتهم؛ وبناء على رأي لجنة التوجيه. وتتوج الدراسة في مرحلة التدرج بمنح الطالب شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية وفقا للشعب والتخصصات المحددة في النصوص القانونية. الأمر الذي يؤهله لمواصلة الدراسة في مرحلة الماجستير بالجامعات الجزائرية وغير الجزائرية عن طريق المسابقات أو التأهيل. بعدها يواصل الطالب الدراسة في مرحلة الدكتوراه بنفس الشروط المعمول بها في الجامعات الجزائرية.

وقد بلغ عدد الذين ناقشوا رسائلهم 270 طالبا في مرحلة الماجستير من تاريخ أول مناقشة وهو يوم 12/12/ 1988 إلى غاية 17 ديسمبر 2003 . أي بمعدل ما 18 رسالة في كل سنة. باعتبار عمر الجامعة في البحث العلمي 15 سنة. وعدد رسائل الدكتوراه 29 رسالة، من يوم 1994/12/19 إلى يوم 2003/11/19. أي بمعدل ما يقارب رسالتين في كل سنة.

مع العلم أن عدد الذين سجلوا بصفة دائمة 457 طالبا بالجامعة في مرحلة الماجستير[1]. وعدد الذين سجلوا في الدكتوراه 121 طالبا[2]. والملاحظ أن أعلى نسبة تسجيل هي من تخصص الفقه وأصوله، وأن أدنى نسبة هي من تخصص العقيدة ومقارنة الأديان.

ومع العلم أن عدد المتخرجين من جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية من جوان 1988 إلى جوان 2003 في مرحلة التدرج قد بلغ 5333 طالب وطالبة، من بين عدد المتخرجين وطنيا وهو 70000 طالب؛ أي بنسبة 13,12%. وأن نسبة الإشراف الأجنبي بلغت في جامعة الأمير عبد القادر ما بين 17,11 % و22,64% بحسب السنوات.

مع العلم إن الذين أطروا وأثروا جامعة الأمير عبد القادر كانوا من 13 جنسية، بجانب الجزائريين. وأن من بين المتعاونين اليوم هو أستاذ واحد فقط من العراق الشقيق.

مع العلم أن عدد الطلبة سنة 2003/2002 في الجامعة الجزائرية بلغ 600000 طالب، وأن عدد طلبة جامعة الأمير عبد القادر قد بلغ خلال هذه السنة 2500، يعني أنهم يمثلون نسبة 0,41%. مع الإشارة إلى أن عدد الطلبة في الجامعة الجزائرية عام 1962 كان 2000 طالب.

---

1 - لمزيد من المعلومات يراجع: دليل الجامعة. ص. 42

2 - دليل الجامعة. ص. 97

ومع العلم كذلك أن نسبة المتخرجات من جامعة الأمير عبد القادر في العلوم الإسلامية في مرحلة التدرج فاق عدد الطلبة الذكور، مثلا كان نسبتهن إلى جوان 2002 قد بلغت 57%. على خلاف الأمر في مرحلة ما بعد التدرج حيث لم تتعد نسبة المسجلات في مرحلة الماجستير بجامعة الأمير مثلا إلى غاية ديسمبر سنة 2002 نسبة 35,16%. وأن نسبة المسجلات في مرحلة الدكتوراه لم تتعد 12,61 %

6 – التخصصات ومواد الدراسة

تتأسس الجامعة من كليتين تضمان ثمانية أقسام متخصصة هي:

1 – الفقه وأصوله

2 – عقيدة مقارنة الأديان

3– الدعوة والإعلام والاتصال

4 – الشريعة والقانون

5 – الكتاب والسنة

6 – اللغة العربية والدراسات القرآنية

7 – التاريخ

8 – الاقتصاد والإدارة

يعني هذا أن بالجامعة ستة تخصصات أساسية من بين 60 تخصصا متواجدة في الوطن، أي بنسبة 10% (إذا استثنينا بعض التخصصات المتفصلة مع نفس التخصصات الموجودة بالجامعة الجزائرية).

وأهم المواد التي درست في مرحلة الماجستير هي:

قسم الكتاب والسنة

القياس والتعليل- الزكاة والنظام المالي الإسلامي- نظرية التعسف في استعمال الحق - العلاقات الاقتصادية والدولية - منهجية البحث العلمي - علم النفس التربوي - اللغة الأجنبية - القانون الجنائي الخاص - تطبيق الفروع على الأصول - نظرية الضمان - نظرية الإثبات - مناهج البحث وتقنياته – اللغة - مناهج التفسير - علوم الحديث(مناهج) - ملتقى - مناهج السيرة (دراسة نقدية) - علوم القرآن- علم النفس التربوي - حلقة البحث- التخريج ودراسة لأسانيد- التفسير الموضوعي- علوم البلاغة (علم المعاني) - علوم الحديث (الجرح والتعديل والعلة)- علوم القرآن (الإعجاز).

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

(شعبة ومقارنة الأديان):

حلقة البحث- مناهج البحث- حوار الأديان- الملتقى- لغة أجنبية- المصادر السلامية لدراسة الأديان- التهويد في الثقافة والفكر -

علم النفس التربوي- الديانات القديمة- الطوائف والفرق الدينية المعاصرة- المناهج الحديثة في نقد الأديان- التجديد في الفكر العقدي الإسلامي المعاصر

(شعبة العقيدة):

حلقة بحث – ملتقى- اللغة الأجنبية - مناهج البحث - المصادر والمناهج في العقيدة - العقيدة للإسلامية (الإلهيات) - مقارنة الأديان - الطرق الصوفية- حركات النهضة- المذاهب الاعتقادية -مذاهب فكرية معاصرة - علم الكلام - العقيدة الإسلامية (النبوات والسمعيات).

قسم الدعوة والإعلام

مناهج البحث وتقنياته- حلقة البحث- اللغة الأجنبية (الأنجليزية)-سوسيولوجية المجتمع الجزائري- أساليب وتقنيات الإقناع- اتجاهات وقضايا الرأي العام في الجزائر (ملتقى)- الدعوة وتكنولوجية الاتصال (ملتقى)- علم النفس التربوي - آفاق الدعوة الإسلامية في ظل المتغيرات الدولية الجديدة- وسائل وأساليب الدعوة في المجتمعات غير الإسلامية- مناهج بحوث الاتصال والإعلام -الاتصال والتغير الاجتماعي- الاتصال والعلاقات الدولية المعاصرة(ملتقى)- الإعلام السياسي- تحديات الدعوة المعاصرة-الإحصاء الاجتماعي.

قسم الفقه وأصوله

أصول الفقه – مقاصد الشريعة – ملتقى- الاقتصاد الإسلامي- منهجية البحث- علم النفس التربوي – لغة – نظريات فقهية – حلقة البحث- فقه مقارن.

قسم التاريخ

مدخل إلى تاريخ الجزائر المعاصر- تاريخ الحركة الوطنية – مصادر البحث في تاريخ الجزائر المعاصر- منهجية البحث – علم النفس التربوي – اللغة الأجنبية – المؤسسات الثقافية في الجزائر المعاصرة – المؤسسات القانونية والسياسية في الجزائر- الحركة الإصلاحية في الجزائر- الوضع الاقتصادي والاجتماعي في الجزائر- تاريخ الثورة التحريرية- الجزائر والعلاقات الدولية.

قسم اللغة والدراسات القرآنية

أثر القراءات القرآنية في الدرس الصوتي واللغوي – علم التجويد – علم القراءات – الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم – النحو والصرف – الأدب الإسلامي القصة والرواية والمسرح – مصادر البحث في اللغة العربية والدراسات القرآنية – اللغة الأجنبية – علم النفس التربوي – الدراسات الإستشراقية في اللغة العربية والدراسات القرآنية –

فقه اللغة واللسانيات – آداب الشعوب الإسلامية – منهجية البحث في اللغة العربية.

7 – مجال البحث العلمي

يتمثل البحث العلمي بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في مستويات كثيرة أهمها:

1 – الدراسات العليا بمستويين الماجستير والدكتوراه.

2 – فرق البحث في مختلف التخصصات التي لها علاقة بالجامعة وبالمحيط الوطني والدولي. وعددها 25 فرقة.

3 – المخابر العلمية وعددها أربعة (دراسات عقدية- دراسات دعوية واتصالية- دراسات أدبية وإنسانية- دراسات شرعية).

4 – استثمار شبكة الانترنيت داخل الجامعة وفي منازل أساتذتها.

ومن أشكال التعاون واستثمار الموارد نذكر:

- تبادل الأساتذة والتوجيه العلمي
- تبادل التوثيق العلمي
- فتح مواقع في شبكة المعلومات العالمية (انترنات)

8– العلاقات الخارجية للجامعة

بحكم موقع جامعة الأمير ودورها الرائد سواء في الجزائر أو في البلاد العربية والإسلامية، أو في إفريقيا وأوروبا وآسيا. وبحكم أنها عضو

في اتحاد جامعات عالمية كرابطة الجامعات الإسلامية. واتحاد الجامعات العربية. والجامعات الإفريقية؛ بحكم ذلك:

صارت لها شبكة اتصالات مع بلدان كثيرة بواسطة عدة اتفاقيات رسمية مع دول شقيقة مثل موريتانيا ومصر وتركيا وقطر والأردن وسوريا وتونس والسعودية؛ هذه الاتفاقيات أثمرت بالتعاون العلمي المتبادل والمتمثل في المنشورات العلمية واستقبال الطلبة من بلدان كثيرة من موريتانيا والصحراء الغربية ومالي والسنغال وتشاد وفلسطين وأندونيسيا ويوغزلافيا لمزاولة الدراسة بهذه الجامعة. ومن جهتها أرسلت جامعة الأمير طلبة إلى بلدان منها: مصر والعراق، وليبيا وتونس والمغرب واليمن واندونيسيا وإيطاليا.

9 – الإصدارات

بجانب ما نشر أساتذة الجامعة من أبحاث، فللجامعة دوريات تصدر بانتظام وهي: مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ومجلة العلوم الإنسانية، ومجلة المعيار، ونشرية الجامعة.

10– القيمة التراثية والاستراتيجية للبحث في العلوم الإسلامية

تمثل العلوم الإسلامية العمق العربي الإسلامي في الجزائر، في واقع اليوم المتحرك بسرعة. لهذا فهي محور استراتيجي في الاهتمامات المحلية الوطنية والدولية، وعلى هذا الأساس فهي تعيش مفارقة بين مرجعية

حضارية إسلامية؛ تراثية وإرثية متجذرة في الثقافة الجزائرية، وبين جذب وطموحات أطراف وتيارات وأحزاب سياسية. ولهذا فالاعتناء بها يقي الأمة الجزائرية متاعب كثيرة. وأن عدم الاعتناء بالعلوم الإسلامية بمناهج علمية ستكون موظفة في أيدي أطراف أخرى قد تجعل منها قنابل موقوتة.

موقف جان بول سارتر عام 1956 من الاستعمار الاستيطاني في الجزائر

موقف جان بول سارتر عام 1956 من الاستعمار الاستيطاني في الجزائر

من نتائج الاستعمار الأوروبي في الجزائر ظهور حركة أدبية وفكرية وعقدية ملتزمة، إذ أن روايات كثيرة كتبت في الجزائر وعن الجزائر وبالجزائر. وكان من أشهر هذه الحركة الأدبية الفكرية؛ ومن أشهر الروائيين فيها؛ والمفكرين الملتزمين البيركامي؛ صاحب رواية الغريب، ورواية أعراس. وجان بول سارتر رائد المدرسة الوجودية. وصاحب أشهر الروايات عن الجزائر مثل: عارنا في الجزائر وكذلك رواية الذباب. بجانب هذه الروايات كانت له مقالات كثيرة فضح من خلالها السياسية الفرنسية المجحفة.

ونحاول في هذه المناسبة تقديم مختصر[1] لما كتبه سارتر سنة 1956 في مجلة (Le temps moderne) العدد 123.

ونشر هذا المقال في هذا التاريخ بالذات يعني أن اندلاع الثورة التحريرية قد أثر في الضمائر الحية العالمية، وفي أكثر التيارات الفكرية انتشارا، ودفعها إلى المساهمة في إبراز حقيقة الوضع الجزائري، عكس ما كانت السلطة الفرنسية الممثلة خاصة في جناح الاشتراكيين الديمقراطيين

1 - اعتمدنا في تقديم هذا المختصر عما جاء في: إبراهيم كبة، أضواء على القضية الجزائرية، مطبعة الرابطة-بغداد 1956، ص-ص. 163-170

توهم به الرأي العام الداخلي والعالمي بأساس أن القضية الجزائرية هي إصلاحية اجتماعية واقتصادية، في حين أن أساس المشكلة المطروحة في الجزائر هو سياسي. ولهذا هاجم سارتر هذه النظرية الإصلاحيـــة في الاستعمار وأكد بأن المشكلة الاستعمارية في الجزائر مشكلة سياسية بالدرجة الأولى، فقال: إن الإنسان لا يستطيع إلا أن يكون شقيا في ظل الخراب الفرنسية. صحيح أن معظم الجزائريين يعيشون في بؤس لا يحتمل ولكن صحيح أيضا أن الإصلاحات الضرورية لا يمكن أن تتـــم على أيدي المستعمرين الصالحـــين، ولا على يـــد المتروبول الوطن الأم نفسه، ما دام يدعى المحافظة على سيادته في الجزائر. والحق أن هذه الإصلاحات ستكون من شأن الشعب الجزائري نفسه، حين ينتزع حريته. ذلك أن الاستعمار ليس مجموعة من المصادفات، ولا هو نتيجة تعداديـــة لآلاف المشروعات الفردية انه نظام أقيم حوالي منتصف القرن التاسع عشر، وبـــدأ يؤتي ثماره حوالي 1880، ودخل في طور الانهيار عقب الحرب العالميـــة الأولى، وهو اليوم يرتد على الأمة المستعمرة نفسها[1].

1 – عرفت الجزائر موجات من المهاجرين الأوروبيين فبلغوا مثلا في أفريل عام 1870، 220000 مهاجر من جنسيات مختلفة. ومنهم 125000 فرنسيون. يسكن 145000 مهاجر منهم في المدن. وينتشر 75000 بالقرى، منحتهم السلطة الفرنسية 892000 هكتار. بالإضافة إلى 60000 عسكري بما فيهم 10000 جزائري مجندون–

من خلال هذا التحليل المركز تبدو حقيقتان في قناعة سارتر:

الحقيقة الأولى: إنه على دراية كبيرة بمراحل الاستعمار الاستيطاني، وبتجاوزاته.

الحقيقة الثانية: إنه من المفكرين الأحرار الملتزمين، والمتنبئين بمصير الجزائر الذي سيكون بيد الجزائريين من دون غيرهم، وهو ما تم فعلا.

وكانت نظرة سارتر إلى الاستعمار على أنه واحد لا يتجزأ، لهذا قال: ليس صحيحا القول إن هناك مستعمرين صالحين وآخرين أشرار: هناك مستعمرون وحسب. فإذا أدركنا ذلك، أدركنا لماذا يحق للجزائريين أن يهاجموا، سياسيا قبل كل شيء، هذا النظام الاقتصادي واجتماعي والسياسي، وكيف أن تحريرهم وتحرير فرنسا بالذات لا يمكن أن يخرجا إلا من انهيار الاستعمار.

–وحوالي 38 ألف من الإسرائيليين كلهم تجار حرفيون ولم يمارسوا الفلاحة. وبالمقابل كان عدد الجزائريين 2500000. ينظر: AMG/H230.

بالإضافة إلى تزايد عدد المحاربين وكانوا مثلا كالآتي حسب ما جاء في: AMG /H239:

السنة	الفرنسيون في شرق الجزائر	الجزائريون في شرق الجزائر	مجموع الجيش في الجزائر كلها
ديسمبر 1864	23437	3531	92144
ديسمبر 1865	18705	3488	76267
ديسمبر 1866	16698	4068	66179

ولم يكتف سارتر بانتقاد السياسة الفرنسية في حد ذاتها[1]؛ بل انتقد من ورائها الإمبريالية الرأسمالية، فقال:

إن من مصلحة فرنسا أن تنظر إلى المسألة الاستعمارية من الزاوية الرأسمالية. إنها قضية الأسواق بالنسبة لفرنسا، بحكم صناعتها وصادرات فحيث السيادة السياسية، تكون السيادة الاقتصادية.

وبعد ذلك حلل سارتر النظام الاستعماري في الجزائر من وجهات نظر متعددة. ومنها وجهة النظر الاقتصادية العالمية مركزا على عملية نزع الأراضي العربية فقال: إن تاريخ الجزائر هو تاريخ تجميع الأملاك العقارية الأوروبية تجميعا تدريجيا على حساب الأملاك الجزائرية.

---

1 - ويخالف سارتر من خلال رؤية وجودية رأي من تزعم الأممية الشيوعية ونعني به أنجلز الذي قال: إن احتلال الجزائر عمل مهم نعتبره في صالح التقدم الحضاري. وإذا كنا نأسف على أن بدو الصحراء قد فقدوا حريتهم، فإنه يجب أن لا ننسى أن هؤلاء البدو كانوا أمة من اللصوص. لذلك فإن البرجوازي (الفرنسي) الحديث مزود بالحضارة والصناعة والنظام وبعض الثقافة، سيكون أفضل لهذا المجتمع الهمجي من السيد (الجزائري) الإقطاعي أو اللص قاطع الطريق. لمزيد من المعلومات يراجع: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ش.و.ن.ت. الجزائر، 1978، ص-ص.79-82.

وذهب إلى عقد مقارنة بين ما عليه الفلاحون في كل من الجزائر وفرنسا فقال:

كانت أمام الفلاحين في فرنسا فرصة الالتحاق بالمصانع، وذلك في إطار القانون المدني غير المتعارض مع ثقافة المجتمع الفرنسي، أم في الجزائر فالأمر يختلف تماما إذ أنه فرض قانون أجنبي على المسلمين فرضا عن تصميم وتصوير، وذلك لهدم البنية الداخلية للمجتمع الجزائري. واستمر الأمر هكذا في القرن العشرين على أساس أنه قانون اقتصادي، لأن الدولة الفرنسية قد خلقت بوحشية وبصورة اصطناعية ظروف الحرية الرأسمالية في بلد الجزائر الفلاحي المسروق أرضه. ومع الأسف فقد كان هذا الإجراء التعسفي مفخرة لبعض السياسيين الفرنسيين على أنه من خيرات المدنية الفرنسية

فيكون الاستعمار الفرنسي برأي سارتر قد حول الشعب الجزائري إلى بروليتاريا زراعية ضخمة، أي إلى عمال فلاحين خماسين، بل عمالا عبيدا في أرضهم.

يحدث هذا في الوقت الذي وجه فيه الاقتصاد الفلاحي الجزائري إلى البحث عن مزيد إنتاج الكروم لصالح الاقتصاد الإمبريالي الفرنسي. ومن ثمة كانت النتيجة أن تتقهقر وضع المجتمع الجزائري بشكل مضطرد، لأن زراعة الحبوب لم تحرز أي تقدم منذ 70 عاما. وفي هذه الأثناء

تضاعف سكان الجزائر ثلاثة مرات. ففي عام 1871 كان نصيب كل فرد خمسة قناطير من الحبوب. وفي عام 1901 صار أربعة قناطير. وفي عام 1940 قنطارين ونصف وفي عام 1940 قنطارين.

وقد بلغت قيمة ما ينتجه الجزائريون من الحبوب 47 مليار من الفرنكات. بينما بلغ ما ينتجه الأوروبيون ما قيمته 91 مليار. أي أن تسعة ملايين نسمة من الجزائريين تقدم ثلث الإنتاج الزراعي، ولا ننسى أن هذا الثلث وحده هو الذي يستهلكونه، أما الباقي فيذهب إلى فرنسا.

هكذا يبدأ الاستعمار باحتلال البلاد، ثم بالاستيلاء عـــلى الأرض وباستغلال ملاكيها القدماء بأجور لا تسد رمق الجوع. ثم أن هذه اليد العاملة الرخيصة تصبح مع التصنيع أغلى مما ينبغي وهكـــذا ينتهي الأمر بترع حق العمل من السكان لأصليين. ولا يبقى للجزائري، وهو في بيته وأرضه إلاّ الموت جوعا. أو الهجرة المؤلمة إلى فرنسا.

وبرغم هذه الهجرة المؤلمة إلى فرنسا فقد كان موقف كثير من الفرنسيين منهم عنصريا بأساس أن الجزائريين لم يأتوا إلى فرنسا إلاّ لينازعوا العمال الفرنسيين في بيوتهم. من الموسف حقا حين يكون الفرنسيون غير عارفين أن الملايين من السكان في الجزائر ما يزالون يعيشون في الأكواخ والخيام ولا يتقوتون إلاّ من المال الذي يرسلـــه لهم هؤلاء الأربعمائة ألف مهاجر اختاروا المنفى. وكان كل ذلك من نتائج

النظام الاستعماري الحتمية الذي استثمر جهد الجزائريين برواتب هزيلة مضحكة.

إن الخوف من البطالة وتفشي الفقر سيدفعهم للثورة، وهكذا يغدو المستعمر ملكا، لأن أرباب العمل في فرنسا لا أخلاق لهم لأنهم لم يعملوا على منح تعويضات عائلية و لم يقيموا مستودعات للطعام، ولا مساكن للعمال. وإنمـــا هناك أربعة جدران من الطين المجفف وخبز.. وعشر ساعات من العمل كل يوم. إن الراتب هنا يمنح كحد أدنى ليستعيد العامل الجزائري القوة لاستئناف العمل .

هذا فيما يتعلق بالجانب المادي للجزائريين، أما الجانب الخاص بصحتهم وثقافتهم، فقد المستوطنون واقع أوروبا على الجزائريين لأن المطالب القومية في أوروبا كانت تعتمد دائما على وحـــدة اللغة، لهذا حرم على العـــرب استعمال لغتهم بالذات. إن اللغة العربية تعتبر في الجزائر لغة أجنبية منذ عام 1830.

وقد انتقد سارتر موقف السلطة الاستعمارية حين كرست قوانينها محاولة بذلك القضاء على الدين الإسلامي ومحيطه الاجتماعي والذهني، بهدف تفتيت بنى المجتمع الجزائري، وللوصول إلى هذا الهدف فقد تعمدت اختيار رجال الدين الإسلامي من بين عملائها. ولاشك في أن الفصل بين الكنيسة والدولة امتياز جمهوري، أما في الجزائر فان

الجمهورية الفرنسية لا تستطيع أن تسمح لنفسها بان تكون جمهورية لأنها تحرص على عدم انتشار الثقافة وتحافظ على معتقدات الإقطاع، فهي تفرض قانونا ذا نزعة فردية حرة لتهدم الإطارات والنهضات في المجتمع الجزائري. ولكنها تبقى على الملوك الصغار الذين لا يستمدون سلطتهم إلا منها والذين لا يحكمون إلا من اجلها إنها بكلمة واحدة تصنع سكانا بلديين بحركة مزدوجة، تفصلهم عن المجموع ذي العقلية القديمة بأن تعطيهم أو تحفظ لهم في عزلة الفردية الحرة عقلية لا يمكن لأسلوبها القديم أن يستمر إلا بالاتصال مع عقلية المجتمع القديمة. أنها تخلق جموعا ولكنها تمنعهم من أن يصبحوا بروليتارية واعية، وذلك بأن تخدعهم بما ترسمه لأيديولوجيتهم من رسوم كاريكاتورية.

وقد سبق سارتر من من الفرنسيين وكتب مقالا في (مجلة العالم الإسلامي) سنة 1910[1] يدين فيه السلطة الفرنسية بنفس هذه الطريقة التي أدان بها سارتر، خاصة فيما يتعلق بموقف فرنسا من الدين الإسلامي؛ حيث جاء في المقال: إن فرنسا قد اصطنعت في الجزائر "إسلاما" فريدا خاصا بها، كما اصطنعت له رجالا من نوع خاص. وكل هذا

1 – لمزيد من المعلومات يراجع: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقـافي، ج. 4، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص-ص. (نقلا عن مجلـة العـالم الإسـلامي R.M.M.، سبتمبر-1910، ص-ص. 79-80).

الاصطناع جاء عن طريق اضطهاد المؤسسات الإسلامية. إن فرنسا قد دخلت إلى أفريقية الإسلامية عن طريق الجزائر. وخلال ثمانين سنة اصطنعنا إسلاما فذا في العالم، بدون أوقاف، وبمساجد إدارية، وأهل دين ورعين، وقضاة موظفين، وحج برخصة. وها نحن نصوغ الآن "كودا" لقيطا من إنتاج الفقه الإسلامي والقانون الفرنسي. إننا خلال 40 إلى 50 سنة من الحملات والجيوش يمكننا أن ننسب نصفها على الأقل إلى اضطهاد المؤسسات الإسلامية. إنه لا يمكن الآن الرجوع إلى الوراء لكي نؤ سلم الجزائر من جديد. إن الإساءة قد وقعت.

وقد ردّ سارتر على بعض المنظرين الفرنسيين الذين رأوا في الازدهار الاقتصادي مخرجا للجزائر، فقال: قالوا الاقتصاد أولا وأني أجيبه، نعم، إن الفلاح يموت جوعا، نعم، انه بحاجة إلى كل شيء: إلى الأرض والعمل والعلم نعم إن الأمراض ترهقه، نعم أن حالة الجزائر الراهنة لتشبه أسوأ ألوان البؤس في الشرق الأقصى. ومع ذلك فيستحيل البدء بالتغييرات الاقتصادية، لان بؤس الجزائريين ويأسهم هما النتيجة المباشرة الضرورية للاستعمار، ولأنه لا يمكن إزالتهما إطلاقا ما دام الاستعمار قائما. وهذا ما يعلمه جميع الجزائريين الواعين، وجميعهم يقرون القول المأثور: خطوة إلى الأمام، وخطوتان إلى الخلف.

إن الاستعمار الاستيطاني واقع ملموس يتجسد في مليون من المستعمرين وأبنائهم وأحفادهم، رباهم الاستعمار فأصبحوا يتكلمون ويعملون وفق مبادئ النظام الاستعماري. ذلك أن المستعمر مصنوع كالمواطن الأصلي: انه مجبول بوظيفته ومصالحه .

فهذا تناقض يأخذ معناه حين يوضح المستعمر أن الأوربيين معزولون وسط المسلمين، وان نسبة القوى هي تسعة مقابل واحد. والحق أنهم إنما يرفضون كل نظام يمنح السلطة للأكثرية، لأنهم معزولون. ومن اجل هذا السبب نفسه ليس لهم من وسيلة للبقاء إلا بالقوة. ولكن بسبب هذا بالذات – وبسبب أن نسبة القوى لا يمكن إلا أن ترتد عليهم – تراهم بحاجة إلى قوة المتروبول، أي قوة الجيش الفرنسي. بحيث أن هؤلاء الانفصاليين هم في الوقت نفسه أصحاب وطنية مشوهة مبالغ فيها. فبينما هم جمهوريون في فرنسا ولكنهم في الجزائر هم فاشيون يكرهون الجمهورية ويحبون حبا عنيفا الجيش الجمهوري. وهل تراهم يستطيعون أن يكونوا غير ذلك؟ كلا، ماداموا مستعمرين.

من هذا التحليل يتبين أن سارتر قد تنبأ بما سيقوم المستوطنون بقيادة ثلة من الضباط الانفصاليين بمحاولة الانقلاب عن باريس، وهو ما حدث قبيل الإعلان عن الاستقلال عام 1962.

ورأى سارتر –عن حق– إن سياسة الإجحاف هذه ستعمق الوعي بالقومية الجزائرية وستكسب صفوف الشعب الفرنسي الحر. لأن الشخصية الجزائرية اكتشفت نفسها وتحدت فعل التجزئة، هذه القومية الجزائرية هي المخرج الوحيد الذي يملكه الجزائريون لوضع حد لبؤسهم. ومع هذا لم يستوعب رجال السياسة الدروس، فمن الغرابة بمكان أن يصرح جول فيري قائلا: حيث السيادة السياسية تكون السيادة الاقتصادية .... ونحن نرى أن الجزائريين يموتون من سيادتنا الاقتصادية، ولكنهم يأخذون عبرة من هذه التجربة: فلقد قرروا، من اجل هدم سعادتنا الاقتصادية، أن يهاجموا سيادتنا السياسية وهكذا خلق المستعمرون أنفسهم أعداءهم، فاظهروا للمترددين الشاكين أن ليس ثمة حل ممكن إلا حل القوة.

ويختم سارتر مقاله بوضع تصور يتحدد من خلاله مصير الجزائر وفرنسا؛ فبعد أن يقر بحقيقة وهي في قوله: ونحن، فرنسي المتروبول، ليس لنا إلا درس واحد نتعلمه من هذه الأحداث وهو إن الاستعمار يعمل الآن على تهديم نفسه، انه عارنا وهو يهزأ بقوانيننا ويظهرها بمظهر كاريكاتوري. انه ينشر بيننا وباء العرقية، وهو يفرض على شبابنا أن يموتوا رغما عنهم من اجل مبادئ نازية نحاربها منذ عشر سنوات؛ وهو يحاول أن يدافع عن نفسه بخلق فاشية في صميم بلادنا فرنسا. مهمتنا أن

تساعده على الموت، لا في الجزائر وحدها بل حيثما وجد. ولاشك في أن الذين يتحدثون عن ترك الجزائر هم بلهاء: فليس لنا أن نترك ما لم نملكه قط. بل القضية على العكس هي أن نبني مع الجزائريين علاقات جديدة بين فرنسا حرة وجزائر محررة. إن هذه الإصلاحات ستأتي في أوانها: والشعب الجزائري هو الذي سيحققها. والشيء الوحيد الذي نستطيع أن نحاوله، وينبغي أن نحاوله هو أن نكافح إلى جانبه لنتحرر في الوقت نفسه الجزائريين و الفرنسيين من الاستبداد الاستعماري .

فهرس

يعالج هذا الكتاب...

موضوعات تتعلق بتاريخ الجزائر السياسي؛ سواء أكان الفاعل فيها من الأوروبيين؛ رسميين أو مفكرين ملتزمين مثل: سياسة "المعاهدات" التي استخدمتها السلطة الفرنسية لكسب ودّ الجزائريين كوسيلة توسع واستيطان في البلاد، بجانب الوسائل الأخرى كالسجون التي كانت جريمة ضد الإنسانية. أو مثل انتقاد جان بول سارتر للاستيطان الأوروبي في الجزائر. أم أن الفاعل من الجزائريين الذين واجهوا هذا الاستيطان بأشكال عملية مختلفة؛ مثلما هو الحال لدى علماء الفقه حين بايعوا عبد القادر أميرا، الذي كرس سلطة شرعية إسلامية. ونظم جهادا شمل الوطن؛ مدينة وريفا. ومثلما هو الحال حين أعلن الجزائريون الثورة التحريرية بنداء أول نوفمبر 1954، حيث كانت هجمات أوت 1955 في الشمال مثلما كانت في الجنوب الجزائري. وشارك فيها مجاهدون كثيرون كانوا مصابيح الثورة؛ فكانت الثورة بحق ضد مشاريع أوروبية رسمت بعناية وبقوة منذ بداية الاحتلال عام 1830......

المؤلف

ردمك 9 - 0296 - 0 - 9947